مُحاضَراتٌ في المَدارِسِ والمناهج

محاضرات لطلبة الجذع المشترك في العلوم الاجتماعية والإنسانية



د. جلول أحمد
أستاذ محاضر في علم النفس
نائب رئيس قسم العلوم الاجتماعية
جامعة الوادي

د. بوترعه بلال
أستاذ محاضر في علم الاجتماع
رئيس قسم العلوم الاجتماعية
جامعة الوادي

د. لوحيدي فوزي
أستاذ محاضر في علم الاجتماع
مسؤول فريق الاختصاص علم إجتماع التربية
جامعة الوادي

د. جديدي زليخة
أستاذ محاضر في علم النفس
مسؤول فريق الاختصاص علم النفس المدرسي
جامعة الوادي

محاضرات في المدارس والمناهج

محاضرات لطلبة الجذع المشترك في العلوم الاجتماعية والإنسانية



د. جلول أحمد
أستاذ محاضر في علم النفس
نائب رئيس قسم العلوم الاجتماعية
جامعة الوادي

د. بوترعه بلال
أستاذ محاضر في علم الاجتماع
رئيس قسم العلوم الاجتماعية
جامعة الوادي

د. لوحيدي فوزي
أستاذ محاضر في علم الاجتماع
مسؤول فريق الاختصاص علم إجتماع التربية
جامعة الوادي

د. جديدي زليخة
أستاذ محاضر في علم النفس
مسؤول فريق الاختصاص علم النفس المدرسي
جامعة الوادي



محاضرات لطلبة الجذع المشترك
في العلوم الاجتماعية والإنسانية

تأليف:

د. جلول أحمد
أستاذ محاضر في علم النفس
نائب رئيس قسم العلوم الاجتماعية
جامعة الوادي

د. بوترعه بلال
أستاذ محاضر في علم الاجتماع
رئيس قسم العلوم الاجتماعية
جامعة الوادي

د. لوحيدي فوزي
أستاذ محاضر في علم الاجتماع
مسؤول فريق الاختصاص علم إجتماع التربية
جامعة الوادي

د. جديدي زليخة
أستاذ محاضر في علم النفس
مسؤول فريق الاختصاص علم النفس المدرسي
جامعة الوادي

الطباعة



ردمك:
978-9931-650-87-4

الإيداع القانوني:
ديسمبر 2019

تصميم الغلاف:
كمال خزان

مقدمة

تعتبر العلوم الاجتماعية من العلوم المستقلة حديثا عن الفلسفة وخلال بحثها عن استقلاليتها العلمية شقت طريقا صعبة من اجل إيجاد مكانة لها بين العلوم.

وفي طريق إثباتها لمكانتها العلمية وجب عليها استحداث منهج علمي تبني عليه نظرياتها العلمية وقواعدها الاستنباطية وتجاربها الواقعية أو استيراد منهج علمي مستخدم في العلوم السائدة والتي قطعت شوطا في التطور زمن استقلال العلوم الاجتماعية عن الفلسفة، وهذا الخيار هو الذي حاولت هذه الأخيرة أن تعتمد عليه.

وبما أن العلوم الطبيعية هي التي عرفت قصب السبق في التطور العلمي بسبب اعتمادها على المنهج التجريبي، فانه كان لزاما على العلوم الاجتماعية أن تحذو حذوها في نفس المضمار كي تثبت علميتها.

وفي هذا العمل الذي نضع بين يديك عزيزي الطالب هذا الكتاب الذي سوف نحاول من خلاله أن نبين لك كيفية اعتماد العلوم الاجتماعية للمنهج العلمي مبينين في ذلك خصوصية هذه العلوم وصعوبة استخدام المنهج التجريبي في الظواهر التي تدرسها ،وذلك راجع إلى أن الظاهرة الإنسانية تتسم بالتغير والقصدية عكس الظاهرة الطبيعة ، ونحن إذ نضع بين يديك عزيزي الطالب هذا الكتاب المعنون بمحاضرات في مقياس المدارس والمناهج وهو من أوائل الكتب التي تناولت الموضوع بطرح أكاديمي علمي بسيط يستطيع المبتدئ أن يبني به ثروة معرفية ولا غنا عن المتضلع في العلم عنه،نريد أن نطلعك في فصله الأول على

بعض المفاهيم المهمة في المقياس وأهم المناهج العلمية المســتخدمة وأدوات جمع البيانات والأساليب الإحصائية المستخدمة في العلوم الاجتماعية.

كما نريد اطلاعك على أهم المدارس والمداخل المنهجية التي نشــأت كتوجهات كبرى لتأطير العلمية وســنتطرق من خلاله إلى المدخل الوضــعي والمدخل البنائي الوظيفي والمدخل الصراعي والمدخل المنهجي الإسلامي.

في الأخير نأمل عزيزي الطالب أن نكون قد قدمنا لك ســندا علميا يكون بمثابة الدليل الإرشــادي تبدأ به رحلتك العلمية في حقول العلوم الاجتماعية فان أصــبنا فمن الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان وعلى الله قصد السبيل .

فريق التأليف

تمهيد

حاول الإنسان منذ القدم أن يتعرف على عناصر البيئة المحيطة به ويكتشف الكثير من أسرارها، ويقف على حقيقة القوى الموجهة لها، فالإنسان منذ خلقه محب للاستطلاع كما أنه لا يستطيع أن يحي وسط الظواهر والأشياء دون أن يُكَوِنَ لنفسه عنها بعض المعارف التي تساعده على تحديد سلوكه اتجاهها، والتي تمكنه من القضاء على المشكلات التي تقف عقبة أمامه وهو يحاول شق طريقه في الحياة، ويترتب عن هذه المحاولات زيادة حصيلة الإنسان من المعرفة وفهمه الكثير من الظواهر المحيطة به.

1. تعريف المعرفة

هي عبارة عن مجموعة المعاني والتصورات والآراء والمعتقدات والحقائق التي تتكون لدى الإنسان نتيجة لمحاولاته المتكررة لفهم الظواهر والأشياء والمحيطة به. [1]

وهي بهذا المعنى لا تقتصر على ظواهر ليوم معين، بل تتناول جميع ما يحيط بالإنسان وكل ما يتصل بعناصر بيئته الطبيعية والاجتماعية والثقافية، ولم تكن هذه الأنواع هدفاً لدراسات المفكرين والباحثين في مختلف العصور، بل انصرفوا إلى دراسة بعض جوانبها دون البعض الآخر.

تنقسم المعرفة إلى نوعين؛ معارف علمية وأخرى غير علمية وتسمى " بالمعرفة العامية ".

ويفرق الباحثون بين المعرفة العلمية والمعرفة العامية حسب الأسلوب أو منهج التفكير الذي تم من خلاله تحصيل المعرفة، فالمعرفة العامية هي التي يكونها الإنسان ويكتسبها عن طريق المحاولات العشوائية البدائية منطلقا في ذلك من ما يعتقده من مسلمات وافتراضات وما يتوصل إليه من استنتاجات وتفسيرات، وهي بذلك تفتقر إلى العلمية فهي تضم الأساطير والطابوهات...أما إذا اعتمد الباحث على قواعد المنهج العلمي في التعرف على الظواهر والأشياء فإن المعرفة حينئذٍ تكون علمية؛ فالمعرفة العلمية هي: المعرفة المنسقة التي تنشأ عن الملاحظة والدراسة

1 .محمد عبيدات وآخرون، منهجية البحث العلمي، ط2، دار وائل للنشـــر والتوزيع، عمان، 1999، ص 05.

والتجريب، والتي تتم بغرض تحديد طبيعة أو أسس وأصول ما تم دراسته. [1]أي أنها المعرفة التي يتوصل إليها الإنسان من خلال أعمال فكره في البحث والتقصي المنظم والمضبوط الذي يتم بأدوات ووفق طرق تنبني على الأدلة والحقائق الخاضعة للبرهنة والقابلة للتفسير. تلك الأدوات والسبل التي تعتمد في البحث والتقصي هي العلم.

1 .ربحي مصطفى عليان وعثمان محمد غنيم، مناهج وأساليب البحث العلمي، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2000، ص 14.

2. تعريف العلم

يعرف قاموس أكسفورد العلم بأنه: هو ذلك الفرع من الدراسة الذي يتعلق بجسد مترابط من الحقائق الثابتة المصنفة، والتي تحكمها قوانين عامة، وتحتوي على طرق ومناهج موثوق بها، لاكتشـاف الحقائق الجديدة في نطاق هذه الدراسة. [1]

ويعرف عودة وزميله العلم بأنه: جهد إنساني عقلي منظم وفق منهج محدد في البحث، يشمل على خطوات وطرائق محددة ويؤدي إلى معرفة عن الكون والنفس والمجتمع، يمكن توظيفها في تطوير أنماط الحياة وحل مشكلاتها. [2]

ويعرف العلم بأنه: سلسلة مترابطة من المفاهيم والقوانين والإطارات النظرية التي نشأت نتيجة التجريب أو المشاهدات المنتظمة[3]

وعليه يمكن القول إن العلم هو عملية إتباع قواعد المنهج العلمي الصحيح مصاغة في قوانين عامة للظواهر الفردية المتفرقة التي تفضي إلى المعرفة العلمية.

---

1 .رجاء وحيد دويدري، البحث العلمي أساسياته النظرية وممارساته العلميةــ، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2000، ص 23.

2 .ربحي مصطفى عليان وعثمان محمد غنيم، المرجع السابق، ص 14.

3 .محسن علي عطية، البحث العلمي في التربية، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، 2009، ص23.

3. مراحل تكوين المعرفة عبر التاريخ

لقد تم الحصول على المعرفة عبر التاريخ البشري على مراحل عدة، وذلك حسب الطريقة التي اتبعها الإنسان في التوصل إليها، تلك المراحل هي:

المرحلة الأولى: وهي مرحلة المعرفة الحسية والخبرة الذاتية، والتي ما تزال قائمة بيننا حينما يعجز الإنسان عن تفسير مواقف أو مواجهتها، وتنطبق هذه المرحلة على مرحلة طفولة العلم، حينما كان الإنسان يحاول أن يجد حلا دون أن يستطيع التحرك بطريقة منظمة، وبهذا نقول: إن المحاولة والخطأ تعتبر أولى مراحل تطور العلم. [1]

المرحلة الثانية: وهي مرحلة الاعتماد على مصادر الثقة والتقاليد السائدة، كالاعتماد على الحكماء، فعندما يواجه الإنسان مشكلات لا تقع ضمن إطار خبرته الشخصية أو الحسية، يلجأ إلى خبرات الآخرين ويستعين بها في تفسير الظواهر وحل المشكلات؛ التي في الغالب تكون أوسع من الخبرات الذاتية للشخص والاستعانة بالآخرين يلجا إليها الفرد منذ الصغر وتستمر معه في حياته، فكثيرا ما يستعين الطفل بالأبوين ومن هم أكبر منه سنا لتفسير بعض ما يراه مشكل أو يحتاج إلى تفسير، وكثيرا ما يستعين المتعلمين بمعلميهم ومدرسيهم للحصول على إجابات لتساؤلاتهم، وقد يلجأ الفرد إلى مصادر أخرى مثل التقاليد والأعراف لتفسير بعض الغموض.

---

1 .رجاء وحيد دويدري، المرجع السابق، ص 26.

إن هذه الطريقة رافقت الإنسان منذ زمن بعيد، وما زالت حتى اليوم بعد أن جرى إخضاعها إلى معايير علمية ينبغي التقيد بها، كأن يكون الشخص المستعان به من ذوي الخبرة والدراية كالطبيب أو المهندس أو السائق...إلخ وكل فيما يختص به.[1] ناهيك عن الأمور الدينية وما قد يقع فيه الفرد من التباسات في عباداته ومعاملاته فيلجا إلى رجل الدين ليساعده، ذلك في مختلف الشرائع والأديان بما فيها ديننا الإسلامي الذي بين ذلك بالنص القرآني حيث يقول عز وجل:

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا " الآية (59) سورة النساء.

ويقول أيضا: "فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ" -الآية 43 سورة النحل -

المرحلة الثالثة: وهي مرحلة التأمل والحوار، وهي مرحلة التدليل العقلي والمنطقي، فقد توصل أرسطو بواسطة التفسير العقلي من ما هو معروف إلى ما هو غير معروف بإتباعه لعملية استدلالية أو استنتاجيه تعتمد في أساسها على القياس المنطقي، لكن طريقة الاستنتاج أو الاستدلال تخدع الباحث أحيانا، لأنها لا تركز اهتمام الباحث على البحث عن الحقيقة ذاتها بل تشغل عقله بالعمليات العقلية والحوار الماهر؛ فهي تركز على عدم التناقض بين القواعد والمنطلقات الأساسية من جهة والنتيجة المتوصل إليها من جهة أخرى، بغض النظر عن مدى منطقية وواقعية النتيجة المتوصل إليها، فقد تكون النتائج صحيحة ومنطقية بالمعايير السورية للبرهنة ولكنها غير لا تتفق والواقع الملموس.

---

1. محسن علي عطية، المرجع السابق، ص 33.

المرحلة الرابعة: وهي مرحلة المعرفة العلمية والتدقيق العلمي، أي مرحلة وضع الفروض وإجراء التجارب ثم استخلاص النتائج. وتعتبر هذه المرحلة أكثر دقةً؛ ففيها أمكن تحويلا لمعلومات المتعلقة إلى تعبير كمي.

وكما يقول "أوغست كونت"Auguste Comte: إن المعرفة العلمية جاءت في مرحلة متأخرة من تطور العقل الإنساني؛ حينما استطاع أن يفسر الظاهرات تفسيرا علميا، يربط تلك الظاهرات ربطا موضوعيا، هذا النوع من المعرفة هو المعرفة العلمية التجريبية، تقوم على أساس الملاحظة المنظمة للظاهرات أو وضع الفروض والتحقق منها بالتجربة، وتجميع البيانات وتحليلها، ولا تقف المعرفة العلمية عند المفردات الجزئية التي يقوم الإنسان ببحثها؛ بل تتجاوز ذلك حتى يصل إلى قوانين ونظريات عامة، تربط هذه المفردات بعضها ببعض، وتمكنه من التنبؤ بما يحدث للظواهر المختلفة تحت ظروف معينة.[1]

1 .رجاء وحيد دويدري، المرجع السابق، ص ص 26- 27.

4. أهداف العلم

1.4. الفهم (التفسير)

يهدف العلم إلى أكثر من مجرد ملاحظة ووصف الظواهر المختلفة طبيعية كانت أو اجتماعية، لأن الوصف لظاهرة معينة مهما كان دقيقا لا يؤدي في حد ذاته إلى فهم الظاهرة ومعرفة عوامل وأسباب حدوثها، فمثلا تمكن الإنسان بالملاحظة والتجارب البسيطة أن يصف سقوط الأشياء والأجسام على سطح الأرض لكنه لم يستطع أن يفسر أسباب سقوطها؛ إلى أن جاءت نظرية نيوتن للجاذبية التي فسرت وبينت أسباب تلك الظاهرة وأعطت لها تقديرا كميا وصاغتها في قانون علمي يدوم ما دامت المعطيات نفسها. لذلك فإن العلم يساعد على التوصل إلى نظريات معينة تفسر لنا أسباب الظواهر المختلفة ثم الوصول إلى تعميمات أكثر اتساعا وشمولا لتفسير هذه النظرية بحيث يمكن تطبيقها على حركة جميع الأجسام الأرضية والكونية الأخرى ذات الكتلة.[1]

2.4. التنبؤ

لا يقف العلم عند حد التوصل إلى تعميمات لفهم وتفسير الأحداث والظواهر، وإنما يهدف أيضا إلى التنبؤ بما يمكن أن يحدث إذا طبقنا هذه التعميمات في مواقف جديدة، فالتنبؤ هو قدرة الباحث على أن يستنتج من فهمه للظواهر وقوانينها نتائج أخرى مرتبطة بهذا الفهم، أي أن التنبؤ هو توقع النتائج التي يمكن أن تحدث إذا طبقنا القوانين التي اكتشفناها، ولكي نوضح معنى التنبؤ نأخذ المثال التالي:

---

1 .فاطمة عوض صابر وميرقت على خفاجة، أسس ومبادئ البحث العلمي، ط1، مكتبة وطبعة الإشعاع الفنية، مصر، 2002، ص 19.

ظاهرة التمدد الطولي للأجسام المعدنية بالحرارة والذي يحدث نتيجة لحركة جزيئات المادة التي تتكون منها الأجسام المعدنية، فأن فهمنا للعوامل والأسباب المفسرة لهذه الظاهرة يساعد في التنبؤ بأن قضبان السكك الحديدية سوف تتمدد وتتقوس بتأثير حرارة الجو في فصل الصيف، مما ينشأ عنه أخطار خروج القطار عن السكة وذلك إذا لم تترك مسافات كافية بين أجزاء القضبان.[1]

3.4. الضبط والتحكم

يهدف العلم إلى جانب التفسير والتنبؤ إلى الضبط والتحكم في حدوث تلك الظواهر وشدتها واتجاهها، وذلك من خلال التحكم في العوامل والظروف التي تجعل الظاهرة تتم على صورة معينة أو تمنع حدوثها.

ويرتبط هذا الهدف (التحكم) بالهدفين السابقين للعلم من حيث أن ضبط ظاهرة معينة والقدرة على التحكم بها يتوقف على مدى فهمنا للأسباب المؤدية لها والتي نبني من خلالها تصورا على مستقبل حدوث تلك الظاهرة وفقا لتوفر تلك الأسباب؛ أي دقة التنبؤ بها؛ بمعنى انه كلما زادت قدرتنا على فهم وتفسير الظاهرة كلما زادت قدرتنا على التنبؤ بها، الشيء الذي يمكننا من ضبطها والتحكم بها.

مثال: متى عرفنا الأسباب التي تؤدي إلى تمدد قضبان السكك الحديدية فإننا يمكن أن نتحكم في هذه الظاهرة لكي نمنع تقوس السكك الحديدية وذلك بأن نترك مسافة بينهما، وبصورة أكثر دقة فان التناسب بين درجة الحرارة والزيادة في طول القطعة الحديدية في السكة التي تتأثر بنوع الحديد يمكننا من أن نحدد المسافة الفاصلة بين قطعة وأخرى في كل منطقة من العالم، حسب أقصى درجات الحرارة التي تصل إليها وكذلك عدد تلك المسافات وطول كل قطعة حديدية.

1فاطمة عوض صابر وميرقت على خفاجة .المرجع سابق ص 19.

5. خصائص العلم

1.5. حقائق العلم قابلة للتعديل والتغيير

إن حقائق العلم ليست مطلقة أو أبدية لا تتغير ولا تتبدل، بمعنى أن حقائق العلم ليست بالأشياء المقدسة والسبب في ذلك بسيط، وهو أن حقائق العلم صادرة عن الإنسان وترتبط بزمان معين وبظروف معينة، فهي صحيحة في حدود الإمكانيات المتوفرة حينئذ، فإذا ما توفرت أدلة وإمكانيات جديدة تبين خطأها أو عدم صحتها فأن الحقيقة العلمية تتغير.

2.5. العلم يصحح نفسه بنفسه

ما دامت المعارف والحقائق العلمية قابلة للتعديل والتغييـــــر، فإن العلم لا ينبذ النظريات والحقائق القديمة ولا يعدل فيها ولا يصـحـحها إلا بعد التأكد من أنها خاطئة أو قاصرة عن التفسير الصحيح للأشياء والظواهر المرتبطة بها، وهو بذلك يُخْضِعُ أفكاره وحقائقه ونظرياته الجديدة للتحقق الدقيق، ومثل هذه الخصائص تجعل العلم يجدد ويطور نفسه. [1]

3.5. العلم تراكمي البناء

إن الخاصيتين السابقتين يترتب عنها إضافات مستمرة تجعل المعرفة العلمية تزداد اتساعا وعمقا، وهذه الخاصية التراكمية للعلم تجعل العلماء في أبحاثهم لا ينطلقون من نقطة الصفر في كل مرة يدرسون مشكلة أو ظاهرة معينة، بل يبدؤون

---

1 .فاطمة عوض صابر وميرقت على خفاجةالمرجع سابق، ص 21.

من حيث توقف من سبقوهم ما توصوا إليه من معارف وحقائق علمية، فيتحققون من صحتها ليبنوا عليها بحوثا جديدة، وبذلك تزداد المعارف اتساعا وعمقا وهو الأمر الذي يجعل المعارف في مختلف فروع العلم في تزايد مستمر.

4.5. العلم مرتبط بالمجتمع يؤثر فيه ويتأثر به

من خلال المحاولات المتكررة للإنسان وملاحظاته المستمرة، استطاع أن يتوصل إلى حقائق كثيرة، فالعلم في أغلب الأحيان لم يكن غاية في حد ذاته بل وسيلة ساعدت الإنسان على فهم الأشياء وتفسيرها، فآثار العلم متعددة ومتنوعة ومنها الآثار المترتبة على الاكتشافات العلمية والتكنولوجية في مختلف المجالات، لذا فإن العلم يتأثر بالمجتمع، فهناك تفاعل متبادل بينهما ومن خلال هذا التفاعل ينمو ويتطور كل منهما.

6. تعريف البحث العلمي

منذ اشتغال المفكرين والعلماء بموضوع البحث العلمي من اجل الوصول الى المعرفة عرف البحث العلمي تعريفات كثيرة ومتنوعة له، وفيما يلي مجموعة من هذه التعاريف:

- هو مجموعة من الجهود المنظمة التي يقوم بها الإنسان مستخدما الأسلوب العلمي وقواعد الطريقة العلمية في سعيه لزيادة سيطرته على بيئته واكتشاف ظواهرها وتحديد العلاقات بين هذه الظواهر. [1]
- هو التقصي المنظم بإتباع أساليب ومناهج علمية محددة للحقائق العلمية بقصد التأكد من صحتها وتعديلها أو إضافة الجديد لها. [2]
- هو تقرير واف يقدمه باحث عن عمل أتمه وأنجزه؛ بحيث يشمل هذا التقرير كل مراحل الدراسة، منذ كانت فكرة حتى صارت نتائج معروفة مدُعمة بالحجج والأسانيد.
- هو التنقيب عن حقيقة ابتغاء إعلانها دون التقيد بدوافع الباحث الشخصية أو الذاتية؛ إلا بمقدار ما يفيد في تلوين البحث بطابع الباحث وتفكيره ويعطيه روحه التي تميزه عن غيره. [3]
- هو البحث عن المعلومة والسعي وراء المعرفة بإتباع أساليب علمية مقننة. [4]

---

1 .ربحي مصطفى عليان وعثمان محمد غنيم، المرجع السابق، ص، 18.

2 .عمار بوحوش ومحمد محمود الذنيبات، مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، ط4، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 12.

3 .رجاء وحيد دويدري، المرجع السابق، ص 68.

4 .فاطمة عوض صابر وميرفت على خفاجة، المرجع السابق، ص 25.

7. خصائص البحث العلمي

يتصف البحث العلمي بمجموعة مترابطة من الخصائص البنائية التي لا بد من توافرها حتى تتحقق الأهداف المرجوة منه، ويمكن ذكر هذه الخصائص على النحو التالي: [1]

1.7. الموضوعية

ونعني بالموضوعية وهي أن تكون جميع خطوات البحث العلمي قد تم تنفيذها بشكل موضوعي دون تحيز، ويتطلب هذا الأمر على الباحثين أن لا يتركوا مشاعرهم وآراءهم الشخصية تؤثر على النتائج التي يمكن التوصل إليها بعد تنفيذ مختلف المراحل أو الخطوات المقررة للبحث العلمي. وهذا يعني عدم اللجوء إلى التحريف أو التشويه للنتائج المتوصل إليها لخدمة أغراض شخصية أو لجهات معينة، كما يجب على الباحثين أن يتصفوا بالسلوك العلمي باستمرار لمعرفة الحقيقة بعيدا عن التزمت أو التشدد وراء آرائهم ومشاعرهم الشخصية بغض النظر عن النتائج التي يتم الوصول إليها لوصف الظاهرة أو القضية موضوع البحث ومعالجتها. ويزداد حدة تدخل الذاتية في بحث الظواهر الإنسانية والاجتماعية عنه لدى غيرها من الظواهر؛ فالبحث فيما هو إنساني أو اجتماعي يضغط على الباحث من الناحية العاطفية فقد تتدخل تفضيله لجانب معين من النتائج أو وجهة معينة

1 .محمد عبيدات وآخرون، المرجع السابق، ص ص 8-11.

للأفكار، أو العكس كرهه ونبذه لجانب ما، ناهيك عن تبني الباحث – كونه إنسانا -لمعايير خاصة قد لا تتناسب مع طبيعة الظاهرة أو نتائج البحث المتوصل إليها.

2.7. الدقة وقابلية الاختبار

وهو أن تكون الظاهرة أو المشكلة موضوع البحث قابلة للاختبار أو الفحص فهناك بعض الظواهر التي يصعب إخضاعها للبحث أو الاختبار نظرا لصعوبة ذلك أو لسرية المعلومات المتعلقة بها، ولتحقيق هذه الخاصية وجب جمع المعلومات الدقيقة والكافية من حيث الكم والنوعية، والتي يمكن الوثوق بها والتي تساعد الباحثين على اختبارها ميدانيا وتحليل نتائجها بطرق علمية منطقية، وذلك للتأكد من مدى صحة أو عدم صحة الفرضيات التي وضعها الباحث للاختبار بهدف التعرف على المشكلة موضوع البحث الذي يجري تنفيذه وتفسيرها، ومن ثم الصول لبعض المقترحات أو التوصيات التي تساعد في حلها.

3.7. إمكانية تكرار النتائج

ونقصد بذلك إمكانية الحصول على نفس النتائج تقريبا بإتباع نفس الخطوات العلمية وخطوات البحث مرة أخرى وتحت نفس الظروف والشروط، ذلك أن حدوث أو حصول النتائج نفسها يعزز الثقة في دقة الإجراءات التي تم اتخاذها لحل مشكلة البحث وأهدافه من جهة، والمنهجية المتبعة من جهة أخرى، كما أن الحصول على نفس النتائج يمكننا من إثبات صحة البناء النظري والتطبيق الميداني للبحث.

4.7. التبسيط والاختصار

إن ذروة الابتكار والتجديد في مجال العلم هو التبسيط المنطقي في المعالجة والتناول المتسلسل للظواهر والأحداث موضوع البحث، والمعروف أن إجراء البحوث مهما كان نوعها يتطلب الكثير من الجهد والوقت والتكلفة، الأمر الذي يحتم على الباحثين اللجوء إلى التبسيط والاختصار في الإجراءات والمراحل بحيث لا يؤثر هذا التبسيط والاختصار على دقة نتائج البحث وإمكانية تعميمها وتكرارها، وهذا ما يتطلب من الباحثين التركيز في بحوثهم على متغيرات محدودة، لأن اشتمال البحث على عدة متغيرات قد يضعف من درجة التعمق في دراسة الظاهرة أو المشكلة موضوع البحث، ولهذا يلجأ الباحثون إلى تحديد أكثر العوامل تأثيرا وارتباطا بالمشكلة موضوع الدراسة وبما يحقق الأهداف الموضوعية.

أضف إلى ذلك أن الظواهر والمشكلات المتعلقة بالإنسان في جانبه النفسي والاجتماعي والتربوي متداخلة متشابكة، تتبادل التأثير والتأثر فيما بينها، وإذا أراد الباحث دراسة شاملة فهو يطلب ضربا من ضروب المستحيل بل انه سيضيع جهده ووقته في العمل على نتائج سطحية لا طائل من ورائها، لذلك لابد من التركيز على رسم حدود واضحة للظاهرة المدروسة.

5.7. أن يكون للبحث العلمي غاية أو هدف

يجب أن يكون للبحث العلمي غاية أو هدف من وراء إجرائه، وتحديد هدف البحث العلمي بشكل واضح ودقيق منذ بداية البحث هو عامل أساسي يساعد في تسهيل خطوات البحث العلمي وإجراءاته، كما أنه يساعد في سرعة الانجاز والحصول على

البيانات الملائمة، ويعزز دقة النتائج التي يمكن الحصول عليها فلا تكون بعيدة عن الإطار الذي يعمل فيه الباحث ويحتاج إليه البحث.

6.7. التعميم والتنبؤ

التعميم هو صبغ نتائج البحث على عينة أو مجموعة محددة على عامة المجتمع والتنبؤ هو توقع ما سيحدث من تغير في الظاهرة أو الظواهر بناء على حدوث أو تغير في ظواهر أخرى. وهما – التعميم والتنبؤ – عمليتان لا تتاحان إلا باستنباط كمية ونوعية الأسباب والظروف ووضعياتها التي تؤدي إلى نتيجة معينة من خلال البحوث المتعددة على عينات شتى وفي أزمنة مختلفة. وبذلك لا تقتصر مجالات الاستفادة من نتائج البحث العلمي على معالجة المشكلة الآنية بل قد تمتد إلى التنبؤ بالعديد من الظواهر والأحداث قبل وقوعها، فنلاحظ القدرة العالية في الوقت الحاضر على التنبؤ بالحالة الجوية لفترات قادمة، والتنبؤ بحدوث العديد من الظواهر الطبيعية الأخرى مثل الكسوف، وقد امتدت إمكانية استخدام نتائج البحث العلمي في التنبؤ بحدوث بعض الظواهر مستقبلا إلى الدراسات الاجتماعية والنفسية، فقد نتنبأ بمستوى تحصيل الطالب الجامعي في تخصص معين بناء على تحصيله في بعض المواد في مرحلة التعليم الثانوي، أو نتنبأ بمدى إمكانية إصابة شخص ما بالاكتئاب بناء على تاريخه الوراثي وأحداث حياته اليومية.

8. خطوات البحث العلمي

يتمثل البحث العلمي في مجموعة من الخطوات حتى يسير البحث بشكل متصل مترابط بمعنى أنه لا يوجد فواصل بين كل خطوة والخطوة التي تلها بل لا بد أن يظهر الترابط بين خطوات البحث بحيث تتصل فيه المقدمات بالنتائج وتدل النتائج على المقدمات، ولكن ليس معنى هذا أن كل البحوث تتم بنفس الخطوات، فكل باحث يستخدم هذه الخطوات تبعا لطبيعة موضوع بحثه، ويمكن عرض خطوات البحث العلمي كما يلي:

1.8. تحديد مشكلة البحث

إن أول خطوة في البحث هي مرحلة التعريف بالمشكلة، فهي ميدان البحث. نسمي مشكلة كل ما يثير مساءلة لا غنى عن دراستها، وتتضمن هذه المرحلة صياغة مشكلة البحث.

تنشأ المشكلات البحثية من تفاعل الفرد مع بيئته، وهذا التفاعل يعتمد على عوامل تتعلق بالفرد نفسه وعوامل تتعلق بالبيئة، لذا تكون الأنشطة التي يمارسها الفرد في بيئته والخبرات التي يمر بها في حياته اليومية مصادر هامة تزوده بالمشكلات التي تكون موضوع لبحثه، ومن أهم المصادر التي يستخلص منها الباحث مشكلة بحثه هي:

- **مجال العمل والتخصص:** يستطيع الباحث من خلال مجال عمله وتخصصه أن يكشف المشكلات التي مازالت لم يتطرق إلها الباحثين، فمن خلال اطلاعه الدائم على أحدث الدراسات والبحوث التي أجريت في

مجال تخصصه يتمكن من معرفة الجوانب التي لا تزال محل غموض والتي تمثل مشكلات تتطلب بالفعل البحث فيها ودراستها لإيجاد الحلول لها. [1]

- **الخبرة الميدانية:** إن خبرة الباحث الطويلة بمجال العمل الميداني تسمح له بأن يحدد ويرى المشكلات بوضوح وخاصة التي تتعلق بنوعية العمل الذي يقوم به، فالمشكلة التي تنبع من واقع عمل الباحث تكون لها أهميتها عنده، فمثلا المدرب أثناء قيامه بعملية التدريب تواجهه الكثير من الصعوبات والمشكلات التي تتعلق بالتدريب سواء كان ذلك على مستوى النواحي المادية أو الإدارية أو البشرية ومما لا شك فيه أن لذلك تأثير كبير على كفاءة التدريب وكذلك النتائج المرجوة منه.
- **الاطلاع على المصادر والمراجع العلمية:** يعتبر اطلاع الباحث بشكل مستمر ودائم على المراجع والدوريات والأبحاث من الطرق المساعدة للباحث عند محاولة اختيار موضوع ومشكلة لبحثه، فالإطلاع على البحوث العلمية المنشورة في الملتقيات والمجلات والمؤتمرات والتي ترتبط بمجال اهتمام الباحث قد تساعده وتعينه لأنها غالبا ما تشير إلى إمكانية إجراء دراسات مستقبلية يحتاج إليها المجال في ضوء النتائج التي أسفرت عنها تلك الدراسات الأمر الذي يعطي للباحثين فرصة لاختيار ما يناسب اهتماماتهم من هذه البحوث. [2]

---

1. فاطمة عوض صابر وميرفت على خفاجة، المرجع السابق، ص 31.
2. نفس المرجع، ص 32.

2.8. الفروض العلمية:

بعد أن يقوم الباحث باختيار المشكلة أو يلاحظ ظاهرة معينة يبدأ في إيجاد حلول لها، لذلك يستخدم الباحث الفروض كحلول مؤقتة لمشكلته وكمحاولة لإيجاد تفسير مقبول للظاهرة.

ويعرف الفرض على أنه حل مؤقت يضعه الباحث لحل مشكلة بحثه وهو إجابة محتملة لأسئلة دراسته. [1]

أو هو عبارة عن تخمين ذكي وتفسير محتمل يتم بواسطة ربط الأسباب بالمسببات كتفسير مؤقت للمشكلة أو الظاهرة المدروسة بحيث يظهر العلاقات التي يحاول الباحث من خلالها حل المشكلة. [2]

وللفرض العلمي مجموعة من الشروط وهي:

- يجب أن يكون الفرض واضحا يؤدي إلى معنى وأحد ومحدد لا يحتمل التأويل.
- يجب أن لا يكون الفرض بديهيا لا مجال للشك فيه كافتراض أن تؤدي التمرينات البدنية بالأثقال إلى تنمية القوة العضلية.
- يجب أن يكون الفرض مختصر وموجز قدر الإمكان وتجنب الفروض المركبة التي تتناول أكثر من قضية في آن وأحد.
- يجب أن يكون الفرض معقولا أي يمكن تحقيقه (قابل للاختبار).

---

1 .خير الدين علي أحمد عويس، دليل البحث العلمي، ط1، دار الفكر العربي، مصـــر، 1997، ص 21.

2 .ربحي مصطفى عليان وعثمان محمد غنيم، المرجع السابق، ص 70.

- يجب أن يكون الفرض متماشيا مع هدف البحث وأن يعطي إجابة واضحة عن مشكلة الدراسة.
- أن يعتمد الباحث على الفروض المتعددة، إي وضع عدة فروض بدلا من فرض وأحد، شرط أن لا تتناقض الفروض فيما بينها.

3.8. اختبار صحة الفروض والتحقق منها

تعتبر هذه المرحلة أهم مراحل البحث حيث أن الفرض يبقى مجرد تخمين ذو قيمة تفسيرية ضئيلة حتى يتم التوصل إلى دليل يؤيده ويجعله قابل للتحقق، أو يفنده ويطرح فرضا بديلا له، لذلك بعد فرض الفروض يبدأ الباحث في جمع البيانات اللازمة ثم يعرضها للمعالجة الكمية أو للتحليل الكيفي؛ حتى يتمكن الباحث من التحقق من صحة فروض بحثه أو عدمها.

4.8. تحليل النتائج وتفسيرها

بعد أن يقوم الباحث بوضع الفروض الخاصة بالمشكلة ثم يبدأ في التحقق من صحة هذه الفروض عن طريق إجراء الاختبارات والتجارب ليصل في النهاية إلى مجموعة من البيانات يتم تسجيلها وحفظها في صورة جداول يسهل قراءتها وتفسيرها، ثم تحليل هذه البيانات إحصائيا أو نوعيا للخروج بالنتائج التي يمكن أن تساعد الباحث في التوصل إلى حل للمشكلة.[1]

---

1 .فاطمة عوض صابر وميرفت على خفاجة، المرجع السابق، ص 39.

الفصل الثاني

المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية

تمهيد

تختلف مناهج البحث العلمي باختلاف الظواهر والمشكلات المدروسة، وما يصلح منها لدراسة ظاهرة ما قد لا يصلح لدراسة ظاهرة أخرى، نظراً لاختلاف الظواهر المدروسة في خصائصها وموضوعاتها، ورغم ذلك لا يمكن أن ننفي بشكل مطلق إمكانية دراسة ظاهرة ما باستخدام أكثر من أسلوب أو منهج علمي، مع الإشارة إلى أن بعض الظواهر لا يمكن دراستها إلا باستخدام أساليب ومناهج علمية معينة.

1. تعريف المنهج

يعرف المنهج لغة بأنه الطريق أو المسلك، يقول الله تعالى: (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) الآية (48) سورة النساء.

أما اصطلاحا:

- يعرف المنهج بأنه الطريقة المتبعة[1] في البحث.

- هو الطريق المؤدي إلى الغرض المطلوب من خلال دراسة المصاعب والعقبات، وفي الفكر العلمي المعاصر المنهج هو: الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة مجموعة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة.[2]

2. تعريف المنهج العلمي

هو مجموعة من القواعد والأنظمة العامة التي يتم وضعها من أجل الوصول إلى حقائق مقبولة حول الظواهر موضوع الاهتمام من قبل الباحثين في مختلف مجالات المعرفة الإنسانية.[3]

كما يعرف بأنه فن التنظيم الصحيح لسلسلة الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين أو من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين.[4]

---

1. رجاء وحيد دويدري: المرجع السابق، ص 147.
2. عمار بوحوش ومحمد محمود الذنيبات، المرجع السابق، ص 102
3. محمد عبيدات وآخرون، المرجع السابق، ص 35.
4. عمار بوحوش ومحمد محمود الذنيبات، المرجع السابق، ص 103

3. أهمية المنهج العلمي في البحث العلمي

تكمن أهمية المنهج العلمي في البحث في عدة جوانب يمكن تحديدها كما يلي:[1]

- أن المنهج هو الوسيلة المناسبة لزيادة معارفنا وقدرتنا على دراسة الظواهر المختلفة والمعقدة.
- المنهج قواعد عملية وتطبيقية هامة، فهو ليس مجرد وسيلة لجمع البيانات، بل يمكننا أيضا من التنبؤ بما ستؤول إليه الظاهرة المدروسة.
- ارتباط المنهج بالعلم يجعل منك أكثر قدرة على تحقيق أهدافه وذلك في ضوء المسلمات المرتبطة بالعلم ذاته.
- يساهم المنهج في مساعدة الباحث على تصنيف وتفسير وتحليل بيانات الدراسة والتوصل إلى نتائج عامة حولها.
- لا يمكن الاستفادة من المنهج العلمي عمليا إلا في ضوء النظرية العلمية التي تعتبر الموجه الأساسي للباحثين في دراستهم للواقع.

4. بعض المفاهيم المرتبطة بمفهوم المنهج

1.4 المنهج والمنهجية

المنهجية: هي ذلك العلم الذي يبين كيف يجب أن يقوم الباحث ببحثه أو هي الطريقة التي يسلكها الباحث منذ عزمه على البحث واختيار موضوع بحثه حتى الانتهاء منه.

---

1. حفيظي سليمة، محاضرات في المنهجية وتقنيات البحث، قسم العلوم الإنسانية جامعة بسكرة، 2015/2014، ص 37.

أوهي جملة الإرشادات والوسائل والتقنيات التي تساعد الباحث في بحثه والغرض منها هي تعليم الطالب البحث العلمي وتنمية الروح العلمية فيه وتسهل مهمته في البحث[1].

ويمكن أن نفرق بين المنهج والمنهجية في النقاط التالية: [2]

- مناهج البحث عبارة عن وصف لأعمال العلماء وطرائق بحوثهم وأساليبهم ومصطلحاتهم، أما المنهجية فهي مجموعة معايير ووسائل يجب إتباعها قبل البحث وأثناءه.

- يشترك المنهج والمنهجية في كونهما تصنف كيف يقوم الباحثون بأبحاثهم، لكنها تختلف عنه في أنها معيارية في الوقت نفسه، لأنها تقدم للباحث مجموعة من الوسائل والتقنيات الواجب إتباعها.

- مناهج البحث تختلف من علم لآخر فللأدب مناهجه وللتاريخ مناهجه...الخ. أما المنهجية فهي وأحدة عموماً.

- المناهج تُطرح عادة للنقد والتقويم فيفصل ما لها وما عليها وأيها أولى بالإتباع، وما المنهج المناسب لكل نوع من الدراسات، أم المنهجية فهي معايير وتقنيات يجب إلزامها لتوفر الجهد والوقت.

- المناهج تتطور وتتعدل من حين لأخر، أما المنهجية فهي عموماً جملة من القواعد الثابتة.

---

1. حفيظي سليمة، المرجع السابق، ص34.

2. عبود عبد الله العسكري: منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، ط2، دار النمير، دمشق، 2004، ص 10.

2.4. المنهج وعلم المناهج

علم المناهج هو العلم الذي يختص بالشكل العام أو الطريقة التي يتكون بها أي علم[1]، وعليه فإن علم المناهج بمثابة المضلة التي تندرج تحتها المناهج النوعية للعلوم والذي ظهر في أو ربا بعد عصر النهضة في القرن 17 على يد (فرانسيس بيكون) و (رينيه ديكارت) و (ايمانويل كانط) وغيرهم من الفلاسفة والعلماء.

إذا كانت مناهج البحث هي الطرق المؤدية إلى معرفة الحقائق والكشف عنها فإن علم المناهج هو العلم الباحث والدارس لهذه المناهج العلمية.[2]

3.4. المنهج والبحث

- **المنهج:** هو الطريق الذي يسلكه الباحث من أجل الكشف عن حقيقة ظاهرة معينة.

- **البحث:** هو التقصي والفحص الدقيق للوصول إلى حقائق وقواعد عامة والتحقق منها أو تعديلها أو الإضافة لها.

ويمكن أن نفرق بين المنهج والبحث في النقاط التالية:[3]

- المنهج طريق يسلكه الباحث للوصول إلى حل للمشكلة التي يدرسها أما البحث فهو نشاط أو سع يشمل أكثر من منهج وأداة جمع بيانات.

---

1. عبود عبد الله العسكري المرجع السابق، ص 2.
2. حفيظي سليمة، المرجع السابق، ص 35.
3. بلقاسم سلاطنية وحسان الجيلاني، منهجية العلوم الاجتماعية، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر 2004ص 60.

- البحث يصل إلى نتائج عن المشكلة المدروسة موضوع البحث، أما المنهج فهو الطريق الذي يسلكه الباحث لمعالجة الظاهرة المبحوثة بالإضافة إلى وسائل أخرى.

- هناك العديد من مناهج البحث يقسمها العلماء إلى: المنهج المقارن المنهج التاريخي، المنهج التجريبي...الخ) وفي المقابل تقسم البحوث إلى كمية ونوعية (كيفية) ووصفية، تاريخية، استكشافية...الخ.

وخلاصة القول أن البحث أشمل وأوسع من المنهج كون الباحث في بحثه قد يستعين بأكثر من منهج إضافة إلى أدوات لجمع البيانات..الخ أما المنهج فيبقى الطريق الذي يسلكه الباحث في بحثه.

5. تصنيفات مناهج البحث

لم يتفق الباحثون في الحاضر والماضي على وضع تصنيف موحد لمناهج وأساليب البحث العلمي، وإن كان هناك شبه إجماع على كثير من هذه الأنواع بينهم وإن اختلف في تصنيفها، وفيما يلي عرض لبعض التصنيفات لهذه الأساليب والمناهج:

1.5. تصنيف هويتني (whitney)

ميز "هويتي"عند تصنيفه للمناهج بين سبعة مناهج للبحث العلمي نذكرها فيما يلي: [1]

- المنهج الوصفي ويشمل (المسح، دراسة الحالة، تحليل الوظائف، تتبع النمو والتطور، البحث المكتبي).
- المنهج التاريخي
- المنهج التجريبي
- المنهج الفلسفي
- المنهج التنبؤي
- المنهجي الاجتماعي
- المنهج الإبداعي.

1 .ربحي مصطفى عليان وعثمان محمد غنيم، المرجع السابق، ص35

2.5. تصنيف ماركيز(Margnis)

- المنهج الانثروبولوجي
- المنهج الفلسفي
- منهج دراسة الحالة
- المنهج التاريخي
- منهج الدراسات المسحية
- المنهج التجريبي.

3.5. تصنيف جود وسكيتس Scate&Cood:

- المنهج التاريخي
- المنهج الوصفي
- المنهج التجريبي
- منهج دراسة الحالة
- منهج دراسة النمو والتطور.

أما الباحثون العرب المحدثون فإن تصنيفاتهم للمناهج هي كما يلي: [1]

- **محمد طلعت عيسى:**
  - منهج دراسة الحالة.
  - منهج المسح الاجتماعي.
  - المنهج الإحصائي.
  - المنهج التجريبي.
  - المنهج التاريخي.
  - المنهج المقارن.

---

1. رجاء وحيد دويدري: المرجع السابق، ص 149.

- **عبد الرحمان بدوي:**

- المنهج الاستدلالي
- المنهج التجريبي
- المنهج التاريخي (الإستردادي)

- **محمود قاسم:**

- منهج البحث في الرياضيات
- منهج البحث في العلوم الطبيعية
- منهج البحث في علم الاجتماع
- منهج البحث في التاريخ.

- **عبد الباسط محمد حسن:**

- منهج المسح
- منهج دراسة الحالة
- المنهج التاريخي
- المنهج التجريبي

- **أحمد بدر:**

- منهج البحث الوثائقي أو التاريخي
- منهج البحث التجريبي
- منهج المسح
- منهج دراسة الحالة
- المنهج الإحصائي.

نلاحظ من خلال التصنيفات السابقة أن هناك بعض المناهج تمثل قاسماً مشتركا بين واضعي المناهج.

6. خطوات المنهج العلمي

تتمثل خطوات المنهج العلمي باختصار فيما يلي:

1.6. الفرض

عندما يشعر الباحث بوجود مشكلة أو يواجه غموضا لا يجد له تفسيرا، فإنه يختار تفسيراً له يضعه في صيغة فرض للبحث، لذلك يعتبر الفرض اقتراح لفظي يصاغ عادة كتفسير مؤقت يقرر علاقة بين متغيرات تجريبية أو نظرية، فالفرض هو مجرد سؤال أو حل مقترح يخضع للتجربة، والنتائج المستخلصة من التجربة إما أن تدعم الفرض (تؤيده) أو ترفضه (تنفيه). [1]

2.6. الملاحظة

إن من أهم أدوات البحث العلمي هي الملاحظة، فلا يمكن أن يضع الباحث فروضاً أو يطرح تساؤلاً أو يصل إلى قوانين دون الاعتماد على الملاحظة، وحتى تؤدي الملاحظة هدفها يجب توفرها على شروط أهمها: [2]

-أن تكون الملاحظة كاملة: أي أن يلاحظ الباحث كل العوامل التي قد يكون لها أثر في أحداث الظاهرة، لأن إغفال بعض العوامل قد يؤدي أحياناً إلى خلل في معرفة بعض الظواهر (أسبابها، ارتباطها بالظواهر الأخرى،...الخ).

---

1. حلمي المليجي، مناهج البحث في علم النفس، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 2001، ص21

2. عبد الرحمان بدوي، مناهج البحث العلمي، ط 3، وكالة المطبوعات، الكويت، 1977، ص140

-أن تكون الملاحظة موضوعية: أي يجب على الملاحظ أن لا يتأثر بأي معنى من المعاني السابقة حول الظاهرة، وأن ينجح الباحث (الملاحظ) في إبعاد ميولاته ومعتقداته الشخصية.

3.6. اختبار الفرض

يتم اختبار الفرض بالطريقة المناسبة فتصَمَمْ تجربة، وتُعَدْ أدوات القياس اللازمة لقياس متغيرات البحث التي وردت في الفرض، ثم تجرى التجربة على العينة، أي تطبيق أدوات القياس على أفرادها، وينبغي أن تكون التجربة تحت شروط مضبوطة، أي لا يختلف أفراد العينة إلا في المتغيرات الواردة في الفرض فقط.[1]

إن قدرة الباحث على ضبط المتغيرات أثناء التجربة، تتيح له إمكانية إعادة إجراء التجربة مع عينات أخرى تحت نفس الشروط وذلك للتأكد من صحة النتائج المتوصل إليها.

4.6. تعميم النتائج

إن من أهداف المنهج العلمي هو الوصول إلى نتائج علمية قابلة للتعميم، فبعد اختبار الفروض والتحقق من مدى صحتها أو خطئها يصل الباحث إلى نتائج حول الظاهرة المدروسة ثم يقوم بتعميمها على جميع الظواهر المماثلة لها، وبالتالي يصل الباحث إلى مجموعة من القوانين حول تلك الظاهرة.

---

1. حلمي المليجي، المرجع السابق، ص 22.

7. خصائص المنهج العلمي

- المنهج العلمي من أفضل الأدوات التي يستخدمها الإنسان لتوسيع آفاق معرفته ويزيد ثروته من المعلومات المختبرة والموثوق بها، فهو طريق الباحث للوصول إلى المعارف والحقائق ووسيلته للتحقق من مدى صدق وثبات صحة هذه المعارف والحقائق[1].
- المنهج العلمي يرفض الاعتماد الكلي وغير الممحص على العادات والتقاليد وحكمة السابقين وتفسيراتهم، وآراء أصحاب السلطة من أي نوع والخبرة الشخصية في سبيل الوصول إلى الحقيقة، ويفرض على الباحث المطبق له الفحص الدقيق والتقصي المنظم والملاحظة الموضوعية، والتفكير المنطقي السليم، ومن الخطأ في ضوء مقتضيات المنهج العلمي أن نعتقد بأن كل ما جرت عليه العادة صحيح، أو أنه من الممكن دائما الوصول إلى الحقيقة بالرجوع إلى ما تراكم من حكمة العصور السابقة، كما أنه ليست الحقيقة نتيجة حتمية للإجماع، وأي قضية لا تكون صادقة لمجرد أن كل شخص يعرفها أو أن كل شخص يؤمن بها [2]
- بالرغم من أن الحقائق التي نصل إليها عن طريق المنهج العلمي قابلة للتغيير بظهور عوامل جديدة، فإن المنهج الذي يتبع كطريقة للحصول على تلك

---

1. مروان عبد المجيد إبراهيم، أسس البحث العلمي لإعداد الرسائل الجامعية، ط1، مؤسسة الوراق، الأردن، 2000 ص 69.

2. مجي الدين مختار، الاتجاهات النظرية والتطبيقية في منهجية العلوم الاجتماعية، ج 1، منشورات جامعة باتنة، الجزائر، (د، س) ص 72.

الحقائق لا يتغير تبعاً لتغير الحقائق نفسها وهذا لا يتنافى مع أن المنهج العلمي قابل للتطور والتعديل إذا ما ثبت عدم صلاحيته، وفي هذا يقول عبد الرحمان بدوي: "على الفيلسوف أو المنطقي أن يفهم أن المناهج ليست أشياء ثابتة بل هي تتغير وفقا لمقتضيات العلم وأدواته ويجب أن تكون قابلة للتعديل المستمر حتى تستطيع أن تفي بمطالب العلم المتجددة، وإلا كانت عبثا ومصدراً للضرر...والواقع أن المناهج العلمية لا بد أن تعدل بل وترفض من جيل إلى جيل إذا ما ثبت عدم صلاحيتها، فإن التطبيق العلمي في اختلاف باستمرار، والمنهج بالتالي لا بد أن يعدل على الدوام. والنتيجة لهذا إذن أن المناهج العلمية، في تغير، وهذا التغير يتعين بتقدم العلم وحاجاته" [1].

- يتميز المنهج العلمي بتحرره من التحيز العاطفي (الموضوعية) وذلك من خلال اعتماده على الفروض والقياس الكمي الدقيق والتصنيف والتحليل حتى يصبح الفرض قانوناً بعد التحقق من صدقه عن طريق إعادة الملاحظات والتجارب. يتميز المنهج العلمي كذلك بتحرره من التأثير الشخصي فهو لا يدعي لنفسه أن النتائج التي توصل إليها هي معصومة من الخطأ، بل هي قابلة للنقد والنقض، وهو يشجع على الشك ويساعد على تنميته إلى أقصى حد وإذا ظهر دليل جديد أو ثار شك جديد فإن جوهر المنهج العلمي يقضي بضرورة أخذهما بعين الاعتبار[2].

---

1. عبد الرحمان بدوي، المرجع السابق، ص 12.

2. مروان عبد المجيد إبراهيم، المرجع السابق، ص 71.

- من خصائص المنهج العلمي أنه يجمع بين الاستنباط والاستقراء وبالتالي بين الفكر والملاحظة، وعندما يستخدم الإنسان المنهج العلمي فإنه يتحرك بين الاستنباط والاستقراء، وينهمك فيما يعرف بالتفكير العلمي [1].

- يتميز المنهج العلمي بالمرونة والقابلية للتعدد والتنوع بتعدد وتنوع العلوم والمشاكل، وقد يكون من المستحيل وضع مجموعة ثابتة وجامدة من القواعد المنطقية ليتبعها الباحثون في مجالات العلوم الطبيعية والتاريخ، والآثار والرياضيات وعلم النفس وعلم الاجتماع...فالعلوم تختلف عن بعضها وبالتالي تتعدد المناهج.

1. محي الدين مختار، المرجع السابق، ص 74.

8. أدوات المنهج العلمي

1.8. الملاحظة

تعتبر الملاحظة من الوسائل التي عرفها الإنسان واستخدمها في جميع بياناته ومعلوماته عن بيئته ومجتمعة منذ أقدم العصور ومازال يستخدمها في حياته اليومية العادية، وفي فهم وإدراك كثير من الظواهر ويستخدمها كذلك في بحوثه العلمية، وهو كباحث يمكن أن يستخدمها في جمع البيانات والحقائق التي تمكنه من تحديد مشكلة البحث ومعرفة عناصرها وتكوين فروضه وتحقيق هذه الفروض والتأكد من صحتها.

1.1.8. تعريف الملاحظة: تعرف الملاحظة على أنها:

- توجيه الباحث لحواسه وعقله إلى طائفة خاصة من الظواهر لكي يحاول الوقوف على صفاتها وخواصها[1].
- هي عملية جمع البيانات عن طريق ملاحظة الناس أو الأماكن.[2]
- هي المشاهدة والمراقبة الدقيقة لسلوك أو ظاهرة معينة، وتسجيل الملاحظات بغية تحقيق أفضل النتائج والحصول على أدق المعلومات[3]، أو هي المشاهدة

---

1 .مروان عبد المجيد إبراهيم، المرجع السابق، ص 175.

2. منذر الضامن، أساسيات البحث العلمي، ط1، دار الميسرة، عمان، 2007، ص 94.

3. عامر إبراهيم قنديلجي، البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات، دار البازوري العلمية، عمان، 1999 ص 174.

الدقيقة لظاهرة ما، مع الاستعانة بأساليب البحث والدراسة التي تتلاءم مع طبيعة الظاهرة.

- هي عملية مراقبة أو مشاهدة لسلوك الظواهر والمشكلات والأحداث ومكوناتها المادية والبيئة ومتابعة سيرها. واتجاهاتها وعلاقاتها، بأسلوب علمي منظم ومخطط وهادف، بقصد التفسير وتحديد العلاقة بين المتغيرات، والتنبؤ بسلوك الظاهرة، أو توجيهها لخدمة أغراض الإنسان وتلبية احتياجاته[1].

2.1.8. أنواع الملاحظة

أ. من حيث طبيعتها

1. الملاحظة العفوية البسيطة: وهي الملاحظة غير المقصودة يقوم بها الباحث بملاحظة الظواهر والأحداث كما تحدث تلقائيا في ظروفها الطبيعية، دون إخضاعها للضبط العلمي، وهذا النوع من الملاحظة مفيد في الدراسات الاستطلاعية (الاستكشافية) التي تهدف إلى جمع البيانات الأولية عن الظواهر والأحداث تمهيداً لدراستها دراسة معمقة ومضبوطة في المستقبل[2]

---

1. رجاء وحيد دويدري: المرجع السابق، ص 317.

2. سامي محمد ملحم، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ط6، دار المسيرة، عمان، 2010، ص 276.

2. **الملاحظة المنظمة:** وهي الملاحظة العلمية بالمعنى الصحيح، بحيث تتم في ظروف مخطط لها مسبقاً ومضبوطة ضبطا علمياً دقيقاً، من حيث الملاحظ، ومادة الملاحظة وتوقيت ومكان الملاحظة، والهدف من الملاحظة...الخ[1].

أ. من حيث دور الباحث

1. الملاحظة بالمشاركة: وفي هذا النوع من الملاحظة يكون الملاحظ عضواً مشاركاً في الموقف بحيث يقوم بدور المشارك الفعلي في إطار الجماعة التي تخضع للملاحظة في الموقف. [2]

2. الملاحظة دون مشاركة: وهي تلك التي يكون فيها الباحث متفرجا فقط، فهو ينظر ويستمع إلى ما يرى للموقف المستهدف من دون أن يشارك فيه، بمعنى أنه لا يشترك في النشاط الذي يؤديه الفرد أو الجماعة الخاضعة للملاحظة[3].

ج. من حيث القائمين على الملاحظة

1. الملاحظة الفردية: وهي التي يقوم بها شخص وأحد.

2. الملاحظة الجماعية: وهي التي يقوم بها أكثر من شخص وأحد.

د. من حيث ميدان الملاحظة

1. الملاحظة في الطبيعة: وتستعمل في العلوم الطبيعية والسلوكية.

---

1. سامي محمد ملحم المرجع السابق، ص 276.
2. محسن على عطية، المرجع السابق، ص230
3. نفس المرجع، ص 231.

2. الملاحظة في المخبر: ويقصد بها التجربة، وفيها تضبط وتثبت المتغيرات جميعها، ماعدا المتغيرات المراد دراستها) المتغيرات التجريبية (، ويلاحظ التغير مما يؤكد صحة الفرضية أو بطلانها[1] .

3.1.8. شروط الملاحظة العلمية:

حتى تكون الملاحظة علمية، وحتى تصلح كأداة لجمع المعلومات ومراقبة الظواهر المدروسة، الأمر الذي يميزها عن الملاحظة العفوية (البسيطة)، يجب أن تتوفر على مجموعة من الشروط وهي:

1- **الانضباط والتنظيم**: فالملاحظة العلمية تعتمد وجود سؤال أو مشكلة تشغل بال الباحث، وفروض يهتدي بها في ملاحظته، وعليه فالباحث مطالب بأن يرتب خطوات ملاحظاته ويضبط مجرياتها.

2- **الموضوعية**: يجب أن تكون الملاحظة موضوعية، فعلى الباحث أن لا ينساق وراء أفكاره المسبقة أو فروضه الأولية أو معتقداته الخاصة أو توقعاته الشخصية، في حالة عدم تطابقها مع الحقيقة الملاحظة. [2]

3- **الكفاءة والتدريب**: يجب أن يكون الملاحظ مؤهلا للملاحظة مستعدا لها ومدرباً عليها.

---

1. رجاء وحيد دويدري، المرجع السابق، ص230 .

2. إبراهيم أبراش، المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية، ط1، دار الشـــروق، عمان، 2009، ص 262.

4- **القدرة على الملاحظة**: يجب أن يكون الملاحظ في وضع جسمي ونفسي يمكنه من الملاحظة (سلامة الحواس، البعد عن القلق والتوتر، القدرة على الانتباه...إلخ). [1]

5- **تسجيل الملاحظات**: يجب تسجيل الأمور الملاحظة بأسرع ما يمكن وفي الحال إن أمكن، أو بعد الملاحظة مباشرة، لأن الاعتماد على الذاكرة أمر غير مضمون العواقب.

6- **المعدات والأجهزة**: يجب على الملاحظ الاستعانة بكل وسيلة أو أداة تساعده على دقة الملاحظة وضبطها (آلات التسجيل والتصوير، الاختبارات النفسية...إلخ).

7- **التخطيط للملاحظة**: وذلك بالتخطيط مسبقاً والتدرب عليها، والتأكد من امتلاك المعارف والقدرات اللازمة للقيام بها وإعداد مخططاتها. [2]

4.1.8. مزايا الملاحظة

- تمكن الباحث من جمع حقائق عن السلوك الملاحظ في الوقت الذي يحدث فيه مباشرة فتكون المعلومات التي تم جمعها موثوقة [3].
- تعد أقل تكلفة من غيرها.
- لا تعتمد كثيراً على الاستنتاجات.
- تمكن الباحث من الحصول على المعلومات حول الظاهرة في ظروفها المألوفة والطبيعية غير مصطنعة.

1 .سامي محمد ملحم، المرجع السابق، ص 276.

2 . إبراهيم أبراش، المرجع السابق، ص 263.

3. محسن علي عطية، المرجع السابق ص، 239.

- لا تتطلب جهداً من المفحوص كما في غيرها من الأدوات (الاستبيان، المقابلة).

- تسمح بالحصول على بيانات ومعلومات قد لا تخطر على ذهن الباحث ولم يفكر بها من قبل.

- تعتبر أفضل طريقة مباشرة لدراسة عدة أنواع من الظواهر، فهناك العديد من جوانب السلوك الإنساني لا يمكنك دراستها إلا عن طريق الملاحظة[1] كدراسة الأطفال صغار السن أو بعض مشكلات المضطربين نفسيا.

5.1.8. عيوب الملاحظة

1- صعوبة ملاحظة جميع أفراد المجتمع في وقت وأحد.

2- في حالة الملاحظة بالمشاركة قد تحدث علاقات صداقة أو تعاطف مع المبحوثين فتؤثر على التفسير الموضوعي للظاهرة.[2]

3- قد يتعمد الأفراد موضوع البحث إظهار ردود فعل مصطنعة عندما يدرك هؤلاء أنهم محل ملاحظة.

4- قد تعيق بعض الحالات أو العوامل الخارجية عملية الملاحظة مثل تقلبات الطقس، أو العوامل الشخصية الطارئة للباحث...إلخ[3]

---

1. سامي محمد ملحم، المرجع السابق، ص 283.
2. إبراهيم أبراش، المرجع السابق، ص 264.
3. سامي محمد ملحم، المرجع السابق، ص 283.

5- بعض الظواهر محكومة بالزمان والمكان، لأن بعض الظواهر قد يستغرق ظهورها مدة طويلة لا تقع ضمن حدود ما هو متاح للباحث. لذلك فإن عامل الزمان والمكان يحكم طريقة الملاحظة وإمكانية استخدامها.

6- صعوبة تحقيق الموضوعية.

7- معرضة للخطأ أو النسيان خاصة عند استحالة التسجيل أثناء الملاحظة[1].

8- لا تصلح في بعض الجوانب الاجتماعية المتعلقة بالحياة الخاصة للأفراد.

2.8. المقابلة

1.2.8. تعريف المقابلة

- هي مجموعة من الأسئلة والاستفسارات والإيضاحات، التي يطلب الإجابة والتعقيب عليها وجها لوجه بين الباحث والأشخاص المعنيين بالبحث أو عينة ممثلة لهم. [2]

- هي محادثة بين الباحث وفرد أو أفراد آخرين بهدف الوصول إلى الحقيقة لموقف أو مشكلة أو ظاهرة ما، يسعى الباحث للتعرف عليها من أجل تحقيق أهداف دراسته. [3]

- هي حوار موجه هادف بين شخصين أو أكثر حول موضوع معين في مكان معين، وهي علاقة دينامية وتبادل لفظي بين شخصين أو أكثر[4].

---

1 .مروان عبد المجيد إبراهيم، المرجع السابق، ص 177.

2. عامر إبراهيم قنديلجي، المرجع السابق، ص 168.

3. ماجد محمد الخياط، أساسيات البحوث الكمية والنوعية في العلوم الاجتماعية، ط1، دار الراية، عمان، 2009، ص 260.

4. محسن علي عطية، المرجع السابق، ص 221.

- هي تفاعل لفظي بين شخصين في موقف المواجهة حيث يحاول أحدهما وهو الباحث أن يستشير المعلومات أو التغيرات لدى المبحوث.[1]

2.2.8. أسس المقابلة العلمية

- أن تكون الأسئلة واضحة ودقيقة ومحددة.
- أن يطمئن الباحث المبحوث على سرية المعلومات التي سيدلي بها.
- أن يتجنب الباحث التأثير على المبحوث[2].
- أن يخطط الباحث للمقابلة مسبقاً ويحدد الهدف منها.
- تحديد زمان ومكان المقابلة.
- تكوين علاقة بين الباحث والمبحوث تقوم على الاحترام والتقدير المتبادلين.
- أن يحاول الباحث كسب ثقة وتعاون المبحوث.
- أن يحسن الباحث طرح الأسئلة الواضحة البسيطة وحسن الاستماع إلى المبحوث والسماح له بالكلام بحرية.
- ضمان الجو المريح للمبحوث.
- أن يقوم الباحث بتسجيل البيانات في بطاقة أو استمارة مقننة أثناء المقابلة.
- أن يكون مظهر الباحث مناسباً مع المبحوث.[3]

---

1. عبد الله محمد الشريف، مناهج البحث العلمي، مكتبة الإشعاع للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1996، ص129.

2 .مروان عبد المجيد إبراهيم، المرجع السابق، ص ص 172-173.

3. رجاء وحيد الدويدري، المرجع السابق، ص 325.

3.2.8. أنواع المقابلة

أ. حسب عدد المبحوثين

1. المقابلة الفردية: يقوم فيها الباحث بمقابلة المبحوثين فرادى أي كل فرد على حده، ويستخدم هذا النوع من المقابلات عندما تكون المعلومات تتميز بالسرية أو ذات طابع خاص بالنسبة للمبحوثين.

2. المقابلة الجماعية: وهي التي تتم بين الباحث ومجموعة من المبحوثين في مكان وأحد وفي وقت وأحد من أجل الحصول على معلومات أكثر في وقت أقصر وجهد أقل.

ب. حسب طبيعة الهدف

1. المقابلة المسحية: وهي المقابلة التي تهدف إلى الحصول على معلومات وبيانات تتعلق بالحقائق والظواهر والاتجاهات والآراء.

2. المقابلة التشخيصية: وهي التي تهدف إلى تشخيص وفهم مشكلة أو ظاهرة وتقصي أسبابها وخطورتها. [1]

3. المقابلة التوجيهية: وهي التي تهدف إلى مساعدة المبحوث على فهم مشكلاته الشخصية أو الاجتماعية أو التعليمية بهدف وضع الخطط اللازمة لحلها.

4. المقابلة العلاجية: وهي التي تهدف إلى مساعدة المبحوث على فهم نفسه وما يعاني منه وعلاج العوامل التي أدت إلى معاناته أو تخفيضها.

---

1. محسن علي عطية، المرجع السابق، ص 223.

ج. حسب تقنين المقابلة

1. المقابلة المقننة: وفيها تعد الأسئلة مسبقاً، وتوجه إجابة المبحوث مسبقاً فهي تشبه إلى حد كبير الاستبيان.

2. المقابلة غير المقننة: وفيها لا تكون الأسئلة موضوعة مسبقاً وتعطى الحرية للمبحوث للكلام من تحديد الزمن أو الأسلوب. [1]

4.2.8. خطوات إجراء المقابلة

تتم المقابلة حسب الخطوات التالية:

- تحديد الهدف من المقابلة
- تحدد الأشخاص الذين ستقابلهم (العينة).
- تحديد أسئلة المقابلة.
- تحديد زمن ومكان المقابلة.
- التدريب على إجراء المقابلة.
- أخذ موافقة الذين سنقابلهم وتحديد موعد المقابلة.
- إجراء المقابلة.
- التأكد من صحة المعلومات التي تحصلنا عليها من المقابلة.
- تسجيل المقابلة (المعلومات).
- إنهاء المقابلة وشكر المشاركين.

---

1. محسن علي عطية، المرجع السابق، ص 224.

5.2.8| طرق إجراء المقابلة

1. **المقابلة وجهاً لوجه**: وهي الأكثر استخداما.

2. **المقابلة عن طريق وسائل الاتصال المتاحة:** مثل، الهاتف، البريد الإلكتروني، سكايب، الفايس بوك...إلخ.

6.2.8 مزايا المقابلة

- تعتبر أفضل الطرق ملائمة لتقييم الصفات الشخصية والانفعالية هي الطريقة الوحيدة التي تصلح مع الأمينين والذين لا يجيدون الكتابة.

- وسيلة للتحقق من صحة المعلومات لأنها تسمح بملاحظة ما يصاحب إجابة المبحوث من انفعالات أو تغييرات سلوكية[1].

- تعطي للمبحوث فرصة توضيح الأسئلة غير المفهومة.

- تعتبر ذات فائدة كبيرة في تشخيص المشكلات الإنسانية لاسيما العاطفية ومعالجتها.

- تشعر المبحوث بأنه مهم اجتماعيا وتوفر فرصة للتفاعل وكسب الثقة بين الباحث والمبحوث تنعكس على استجابته. [2]

- ارتفاع الردود مقارنة بالاستبيان. [3]

---

1. مروان عبد المجيد إبراهيم، المرجع السابق، ص173.
2. محسن علي عطية، المرجع السابق، ص 228.
3. عامر إبراهيم قنديجلي، المرجع السابق، ص 171.

7.2.8 **عيوب المقابلة**

1- نجاح المقابلة يعتمد إلى حد كبير على رغبة المستجيب في التعاون وإعطاء معلومات دقيقة.

2- مكلفة من ناحية الوقت والجهد وبالتالي يصعب مقابلة عدد كبير من المبحوثين.

3- تتأثر بالحالة النفسية والعوامل الأخرى التي تؤثر على المبحوث أو على الباحث أو عليهما معاً، وبالتالي فإن احتمالية التحيز مرتفعة جداً في البيانات.[1]

4- تتطلب تدريب على إجرائها، فإن لم يكن الباحث مدرباً فإنه لا يستطيع خلق جو ملائم للمقابلة.

5- صعوبة تسجيل الإجابات أو تجهيز أدوات التسجيل في مكان المقابلة الذي يحدده المبحوث في الغالب.

6- قد تخرج عن موضوعها فتؤدي إلى هدر الوقت.

7- صعوبة التقدير الكمي للإجابات غير المكممة وصعوبة تحليلها.

8- قد يتردد الكثير من المبحوثين في الإجابة عندما تتعلق بأمور شخصية أو سياسية.

9- قد يتعمد المبحوث إعطاء معلومات مظللة. [2]

10- صعوبة الوصول إلى بعض الأشخاص ذوي المركز أو بسبب التعرض للخطر[3].

---

1. سامي محمد ملحم، المرجع السابق، ص 306.
2. محسن علي عطية، المرجع السابق ص 228.
3. رجاء وحيد دويدري، المرجع السابق، ص 328.

3.8. الاستبيان

1.3.8. تعريف الاستبيان

- هو مجموعة من الأسئلة التي يطرحها الباحث على المبحوثين وفق توقعاته للموضوع، من أجل الحصول على إجاباتهم حول ذلك الموضوع. [1]

- هو مجموعة من الأسئلة المكتوبة والتي تعد بقصد الحصول على معلومات أو آراء المبحوثين حول ظاهرة أو موقف معين. [2]

- هو مجموعة من الأسئلة المرتبة حول موضوع معين يتم وضعها في استمارة ترسل للأشخاص المعنيين بالبريد أو يجرى تسليمها باليد تمهيداً للحصول على أجوبة الأسئلة الواردة فيما، وبواسطتها يمكن التوصل إلى حقائق جديدة عن الموضوع أو التأكد من معلومات متعارف عليها لكنها غير مدعمة بحقائق[3].

2.3.8. قواعد تصميم الاستبيان

أ. القواعد العامة للصياغة

- أن لا يكون محتوى الاستبيان كثيراً ولا يتطلب جهداً من المفحوص ولا يشعره بالملل.

- إذا كان بالإمكان الحصول على المعلومات من السجلات والوثائق فلا داعي لطلبها في الاستبيان حتى لا يعطي فرصة للمفحوص الشك في جدية الباحث.

---

1. عقيل حسين عقيل، فلسفة مناهج البحث العلمي، مكتبة مديولي، 1999، ص ص 148-149.
2. ربحي مصطفى عليان وعثمان محمد غنيم، المرجع السابق، ص 82.
3. عمار بوحوش ومحمد محمود الذنيبات، المرجع السابق، ص 67.

- أن ترتبط أسئلة الاستبيان بمشكلة البحث[1]

- أن تكون مادة الاستبيان جذابة وتتعلق بظروف المفحوص.

- يجب أن تصاغ الأسئلة بطريقة يسهل تفريغها واستخلاص نتائجها. [2]

ب. قواعد تتعلق بصياغة الأسئلة

- أن تصاغ الأسئلة بعبارات واضحة وسهلة.
- أن تكون الأسئلة قصيرة قدر الإمكان.
- تجنب الأسئلة المحرجة للمبحوث.
- أن تكون صياغة الأسئلة تتماشى مع مستوى قدرات وتعلم المبحوث.
- أن لا تكون الأسئلة قابلة للتأويل. [3]
- كل سؤال يعالج فكرة وأحدة فقط.

ج. قواعد تتعلق بصحة صدق الإجابة

- وضع أسئلة توضح صدق المبحوث.
- وضع أسئلة ترتبط إجابتها بإجابات أسئلة أخرى موجودة في الاستبيان

د. قواعد تتعلق بترتيب الأسئلة

- البدء من الأسئلة السهلة.

---

1. رجاء وحيد دويدري، المرجع السابق، ص 331.

2. عمار بوحوش ومحمد محمود الذنيبات، المرجع السابق، 71.

3. زياد بن علي محمود الجرجاوي، القواعد المنهجية التربوية لبناء الاستبيان، ط2، مطبعة أبناء الجراح، غزة، 2010، ص 56.

- يجب ترتيب الأسئلة بشكل منطقي متسلسل.

3.3.8. خطوات تصميم الاستبيان

- تحديد موضوع أو مشكلة الدراسة.
- تحديد المعلومات المطلوبة في البحث.
- تحديد الجهات التي سيوزع عليها الاستبيان
- تقسيم موضوع البحث إلى عناصره الأساسية.
- تحديد نوع الاستبيان.
- وضع مسودة أولية للاستبيان وإجراء اختبار تجريبي عليه.
- تحديد عدد الاستبيانات المطلوبة.
- تعديل الاستبيان بناءاً على الاقتراحات بعد التجريب إن وجدت وبذلك يأخذ الاستبيان صورته النهائية.

4.3.8. محتوى الاستبيان

أ. مقدمة الاستبيان

وتتضمن التعريف بالباحث والدارس، إذ يوضح الباحث الغرض العلمي من الاستبيان، ونوع المعلومات التي يحتاجها الباحث من المبحوثين ويشجعهم على الإجابة الموضوعية والصريحة على فقراته، ويطمئنهم على سرية المعلومات مما ينعكس إيجابيا على المبحوثين، كما يوضح مدى الفائدة التي يقدمها المفحوص للبحث، كما تشمل المقدمة أيضاً طريقة إجابة المبحوث على أسئلة الاستبيان.

ب. فقرات الاستبيان

وتشمل كل أسئلة الاستبيان مع الإجابة التي توضع أمام كل سؤال ليقوم المبحوث باختيار الإجابة التي يراها مناسبة.[1]

5.3.8. أنواع الاستبيان

أ. الاستبيان المغلق: وفيه يطلب من المبحوث الإجابة على السؤال من خلال مجموعة من الإيجابيات ويختار الإجابة التي تناسبه مثل نعم، لا، أحياناً.

ويتميز هذا النوع من الاستبيانات بما يلي:[2]

- سهولة الإجابة عليها.
- لا تتطلب وقت طويل من طرف المبحوث للإجابة عليها.
- قلة التكاليف.
- ارتفاع نسبة الردود على الاستبيان[3]
- سهولة تفريغ المعلومات منه.
- لا يتطلب جهد من طرف المبحوث لأن الأسئلة موجودة وعليه اختيار الجواب المناسب فقط.

عيوب الاستبيان المغلق: يقيد إجابة المبحوث وعدم ترك له الحرية في التعبير عن رأيه.

---

1. رجاء وحيد دويدري، المرجع السابق، ص 333.
2. سامي محمد ملحم، المرجع السابق، ص ص 308-309.
3. ربحي مصطفى عليان وعثمان محمد غنيم، المرجع السابق، ص 87.

ب. الاستبيان المفتوح: وهنا يترك الحرية للمبحوث بالإجابة والطريقة واللغة التي يراها مناسبة، ويستخدم عندما يريد الباحث الحصول على معلومات واسعة ودقيقة حول الظاهرة أو المشكلة المدروسة فيترك للمبحوث الحرية في الإجابة على الأسئلة[1].

من مميزات هذا النوع من الاستبيانات:

- مناسب للمواضيع المعقدة.
- يعطي معلومات دقيقة.
- سهل التحضير.

من عيوب هذا النوع من الاستبيانات:

- عدم رغبة وتحمس المبحوثين للكتابة والتعبير عن آرائهم بشكل مفصل
- يستغرق وقت طويل.
- صعب في تحليل محتوياته.

ج. الاستبيان المغلق المفتوح: [2]ويعتبر الأكثر شيوعاً، وهو مزيج من الاستبيان المغلق والاستبيان المفتوح ويتضمن أسئلة ذات أجوبة محددة وأسئلة مفتوحة وعادة ما تكون الأسئلة المغلقة مثل: هل توافق على عمل الأطفال نعم، لا، إذا كانت الإجابة نعم، فلماذا؟

---

1. ماجد محمد الخياط، المرجع السابق، ص 119.
2. عبد الله محمد الشريف، المرجع السابق، ص 124.

6.3.8. مزايا الاستبيان

- يتيح الحصول على معلومات من عدد كبير من الأفراد متباعدين جغرافيا بأقل وقت ممكن مقارنة بوسائل جمع المعلومات الأخرى، كالملاحظة والمقابلة...إلخ.
- يتطلب أقل جهد ووقت.
- لا يتطلب عدد كبير من المساعدين المدربين.
- تعتبر المعلومات التي تتحصل عليها عن طريق الاستبيان أكثر موضوعية من المعلومات عن طريق المقابلة والملاحظة.
- تعتبر أكثر أداة مساعدة في الحفاظ على سرية المبحوثين (لا اسم، ولا معلومات خاصة).
- توفر الوقت الكافي للمبحوث للتفكير والإجابة على الاستبيان.[1]

7.3.8. عيوب الاستبيان

- لا تصلح مع فئة الأطفال أو الأفراد الأميين.
- إمكانية أن يقوم غير المبحوث بالإجابة عنها.
- احتمالية عدم رجوع الاستبيان للباحث.
- وجود أسئلة غير مجاب عليها من قبل المبحوث. [2]
- عدم فهم المبحوث لبعض الأسئلة وبالتالي تكون إجابته مختلفة لما يريده الباحث.

---

1. سامي محمد ملحم، المرجع السابق، ص 317.
2 .محسن علي عطية، المرجع السابق، ص 220.

- عدم قدرة الباحث التعرف على انفعالات وعواطف المبحوث أثناء إجابته على الاستبيان.
- تأثر إجابات المبحوثين بطريقة وضع الأسئلة خاصة إذا كانت هذه الأسئلة توحي بالإجابة، فيحاول المفحوص أن يجيب على الأسئلة بالطريقة التي ترضي الباحث.
- تباين الرصيد المعرفي واللغوي لدى المبحوثين مما يؤثر على طريقة الأجوبة.
- انخفاض نسبة الردود.
- كثرة عدد أسئلة الاستبيان تدعو للملل وعدم الإجابة عليها.
- تأثر صدق الأجوبة على أسئلة الاستبيان بمدى تقبل المستجيب له.

4.8. المعاينة

1.4.8. المقصود بالمعاينة

نقصد بالمعاينة هي عملية اختيار العينة التي ستتم عليها الدراسة بدل دراسة جميع أفراد مجتمع الدراسة، وذلك نظرا لمجموعة من الأسباب التي سنذكرها لاحقا.

2.4.8. تعريف مجتمع الدراسة

هو جميع أفراد أو مشاهدات أو أحداث أو أشياء موضوع البحث، وهو ما يطلق عليه البعض بالمجتمع الأصلي للدراسة، أو هو جميع الأفراد أو الأشياء أو العناصر التي لها خصائص وأحدة يمكن ملاحظتها. [1]

1. رجاء محمود أبو علاء، مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية، ط4، دار النشر للجامعات، القاهرة، 2004، ص 149.

3.4.8. تعريف العينة

وهي نموذج يشمل جانبا أو جزءاً من وحدات المجتمع الأصلي المعني بالدراسة، تكون ممثلة له، بحيث تحمل صفاته المشتركة، وهذا النموذج أو الجزء يغني الباحث عن دراسة كل مفردات المجتمع الأصلي، خاصة في حالة صعوبة أو استحالة دراسة كل تلك المفردات. [1]

4.4.8. أسباب اللجوء إلى استخدام العينة (المعاينة)

يضطر الباحث اللجوء إلى المعاينة نظرا لعدة أسباب نذكر منها:

- استخدام العينة يقلل من زمن وتكلفة الدراسة.
- الاعتماد على العينة يمكننا من الحصول على نتائج أدق وذلك نظرا لتوفر مراقبة ومتابعة أفراد العينة بشكل دقيق أثناء عملية جمع البيانات، فكلما زاد حجم العينة تضعف القدرة على الرقابة والدقة. [2]
- استحالة إجراء الدراسة على جميع عناصر مجتمع الدراسة نظرا للعدد الكبير أو للتباعد الجغرافي.
- سرعة الحصول على النتائج مقارنة بدراسة المجتمع ككل.

5.4.8. حجم العينة

يختلف حجم عينة الدراسة من باحث إلى آخر ومن دراسة إلى أخرى، وبصفة عامة يمكن القول بأن هناك مجموعة من الاعتبارات تحدد حجم العينة وهي:

---

1 .عامر إبراهيم قنديليجي، المرجع السابق، ص 137.

2 .محمد عبيدات وآخرون، المرجع السابق، ص 85.

- طبيعة موضوع الدراسة.
- حجم المجتمع الأصلي.
- عدد متغيرات الدراسة، فكلما زاد عدد متغيرات الدراسة تطلب ذلك زيادة في حجم العينة. [1]
- مدى تجانس أو تباين مجتمع الدراسة.
- الاعتبارات المادية (تكلفة الدراسة).
- عامل الزمن، فكلما كانت العينة كبيرة الحجم استغرقت الدراسة وقت أكثر.
- مدى الثقة التي يريد الباحث الالتزام بها. [2]
- درجة التعميم التي يسعى الباحث إلى تحقيقها، فكلما ازدادت حاجة الباحث بأن تكون نتائج دراسته قابلة للتعميم بشكل كبير على المجتمع الأصلي، كلما توجب عليه زيادة حجم العينة المختارة. [3]

تشير الدراسات أن حجم العينة الأقل من 30 لا يعكس جيدا خصائص المجتمع الأصلي، ومن هنا فإن الفروق بين المتوسطات يعد ذو دلالة إحصائية إذا تم الحصول عليه من عينة كبيرة. وهناك قاعدة يتفق عليها الإحصائيون وهي أن العينة يجب ألا يقل حجمها عن 30 في الأبحاث الارتباطية، أما في الأبحاث التجريبية

---

1 . محسن علي عطية، المرجع السابق، ص 104.

2 . ربحي مصطفى عليان وعثمان محمد غنيم، المرجع السابق، ص 139.

3 . محمد عبيدات وآخرون، المرجع السابق، ص 98.

فلا تقل عن 15 لكل مجموعة، وفي الدراسات الوصفية فتصل مابين 10-20% من حجم المجتمع الأصلي.[1]

وقد أورد **Uma Sekaran (1992)** مجموعة من النقاط التي يمكن أن نحدد بها حجم العينة المطلوب وهي:[2]

- العينة التي يتراوح عددها بين 30 إلى 500 تعد ملائمة لمعظم أنواع الأبحاث.
- عند استخدام العينة الطبقية، فإن حجم العينة لكل طبقة يجب أن لا يقل عن 30.
- في حالة استخدام الانحدار المتعدد أو الاختبارات المماثلة له، فأن حجم العينة يجب أن يكون أضعاف متغيرات الدراسة، ويفضل أن يكون حجم العينة 10 أضعاف متغيرات الدراسة.
- في الأبحاث التجريبية التي يكون فيها حجم الضبط والرقابة عاليا فإن حجم العينة من 10 إلى 20 قد يكون مقبولا.

---

1 . منذر الضامن، المرجع السابق، ص 163.

2 . محمد عبيدات وآخرون، المرجع السابق، ص 99.

وقد وضع **Uma Sekaran** جدولا يبين فيه حجم العينة المناسب عند أحجام مختلفة من مجتمع الدراسة الأصلي، وفي ما يلي بعض المقتطفات من ذلك الجدول.[1]

جدول يبين حجم العينة المناسب عند مستويات مختلفة

حجم المجتمع الأصلي	حجم العينة المناسب	حجم المجتمع الأصلي	حجم العينة المناسب
10	10	550	226
30	28	650	246
70	59	900	269
110	86	1100	285
170	118	2000	322
210	136	6000	361
250	152	15000	375
360	186	75000	382
420	201	1000000	384

1 . محمد عبيدات وآخرون، المرجع السابق، ص 100.

6.4.8. شروط العينة الجيدة

على الباحث أن يراعي عند عملية المعاينة ما يلي:

- تجنب التحيز في اختيار العينة وخاصة إذا كانت العينة مختارة بالطريقة غير العشوائية.
- أن تكون العينة ممثلة للمجتمع الأصلي، لأن الباحث لا يستطيع تعميم النتائج إذا كانت العينة لا تعكس جميع خصائص المجتمع الأصلي.
- تكافؤ وتساوي الفرص لجميع مفردات أو عناصر مجتمع الدراسة. [1]

7.4.8. طرق اختيار العينة

أ. العينات الاحتمالية

وهي العينات التي تتاح فيها لكل فرد من أفراد المجتمع فرصة أن يكون أحد أفراد العينة، ويتم اختيار أفراد العينة في هذا النوع بشكل عشوائي، وهي أنواع:

1- العينة العشوائية البسيطة

وهي العينة التي لا تعتمد أي طريقة في اختيارها، وتضمن إعطاء نفس الفرص في الاختيار لجميع أفراد المجتمع، ويتم ذلك طبقا لقواعد معروفة ومتخصصة مثل: الجدول العشوائي والقرعة. [2]

فيمكن للباحث مثلا أن يضع أسماء مفردات المجتمع الأصلي في وعاء ثم يسحب منها العدد المطلوب، ولكن الطريقة الأمثل هي استخدام الجدول العشوائي خاصة

---

1 .فاطمة عوض صابر وميرقت على خفاجة، المرجع السابق، ص 186.

2 . إبراهيم أبراش، المرجع السابق، ص 250.

إذا كان المجتمع الأصلي كبيرا، وهو عبارة عن جدول معد مسبقا يحتوي على أرقام بدون ترتيب، وبعد أن يقوم الباحث بترقيم وحدات المجتمع الأصلي بطريقة متسلسلة، ثم يبدأ بوضع إصبعه بطريقة عشوائية على رقم في الجدول العشوائي، ويستخرج الاسم المقابل له في جدول الأسماء، وهكذا حتى يكتمل العدد المطلوب.

2- العينة العشوائية المنتظمة

وفيها يكون اختيار أفراد العينة على أساس تقسيم العدد الكلي للمجتمع على حجم العينة المطلوب، ومن ثم توزيع أفراد المجتمع الأصلي، وبشكل متساوي ومنتظم على الرقم الناتج من ذلك التقسيم، مثلا إذا كان عدد المجمع الأصلي 500 طالب وكان عدد العينة المطلوبة 50، إذن 500/50=10، ثم نختار رقما يكون أقل من 10 كأول رقم لأفراد العينة وليكن 2، ثم يبدأ الباحث بتعيين أرقام العينة كما يلي: 2، 62، 52، 42، 32، 22، 12،....وهكذا حتى نصل إلى الرقم 592 فنكون في هذه الحالة قد تحصلنا على 50 رقما، ثم نأخذ أسماء الأفراد بناء على الأرقام المتحصل عليها، والذين سيمثلون أفراد العينة.

3- العينة العشوائية الطبقية

يستخدم هذا النوع من العينات عندما يكون مجتمع الدراسة غير متجانس، ففي هذه الحالة يقسم مجتمع الدراسة إلى طبقات في ضوء عدد المتغيرات التي وضعها الباحث، بحيث تكون العينة تمثل جميع أفراد مجتمع الدراسة بحيث تكون نسبة تمثيل كل طبقة في العينة بنفس نسبة وجودها في المجتمع الأصلي، ثم وبطريقة عشوائية يتم اختيار أفراد العينة من كل طبقة.

4- العينة العشوائية العنقودية

وتستخدم عندما يكون مجتمع البحث كبير الحجم وينتشر أفراده على منطقة جغرافية واسعة، ويتم سحب هذه العينة بطريقة عشوائية على مراحل، بحيث يتم تقسيم مجتمع الدراسة إلى فئات حسب معيار معين، ومن اختيار شريحة أو أكثر بطريقة عشوائية، ويتم استبعاد الشرائح الأخرى نهائيا، ثم يتم تقسيم الشريحة المختارة إلى شرائح جزئية أخرى، ويتم اختيار أحدى تلك الشرائح واستبعاد باقي الشرائح، وهكذا يستمر الباحث حتى يصل إلى الشريحة النهائية والتي يختار منها بشكل عشوائي مفردات العينة المطلوبة.[1]

ب. العينات غير الاحتمالية

وفي هذا النوع لا تتوفر نفس فرص الاختيار لأفراد العينة، وهذا النوع أسهل بالنسبة للباحث، كما أنها تخضع في اختيارها لذاتية الباحث في الكثير من الأحيان، ومن أهمها:

1- العينة العمدية (القصدية)

وهي العينة التي يتعمد الباحث اختيارها بشروط معينة يضعها سلفا بناء على طبيعة موضوع البحث، والتي يعتقد من خلالها أنها تمثل المجتمع الأصلي للدراسة، فتعميم النتائج المتوصل إليها من خلال هذا النوع من العينة لا يكون إلا على من تتوفر فيهم شروط الاختيار التي وضعها الباحث.

---

1 .رجاء وحيد دويدري، المرجع السابق، ص 312.

2- عينة الصدفة (العرضية) :

وهي العينة التي يختارها الباحث بالمصادفة، بحيث لا يكون هناك تحديد مسبق لمن ستشملهم العينة بل يتم اختيار أفراد العينة من بين أو ل مجموعة يقابلها الباحث، بعد موافقة هؤلاء على المشاركة في الدراسة، وذلك ضمن شروط تضمن تمثيل العينة للمجتمع الأصلي.[1]

يتميز هذا النوع من العينات بالسهولة في اختيار عينة الدراسة، وانخفاض التكلفة والوقت والجهد المبذول من الباحث، وبسرعة الوصول إلى أفراد الدراسة والحصول على النتائج، ومن عيوبها أنها لا تمثل مجتمع الدراسة بشكل دقيق وبذلك يصعب تعميم النتائج على المجتمع الأصلي.

3- العينة الحصصية

وهي تشبه العينة العشوائية الطبقية في المراحل الأولى، بحيث يتم تقسيم مجتمع الدراسة إلى فئات أو طبقات حسب معيار معين، ثم اختيار العدد المطلوب من كل طبقة، ولكن هذا الاختيار لا يكون عشوائيا كما هو في العينة الطبقية السابقة، بل تكون للباحث حرية اختيار أفراد العينة بالشكل الذي يراه مناسبا دون شرط أو قيد.[2]

4- عينة كرة الثلج:

تقوم هذه الطريقة على اختيار فرد معين، وبناء على ما يقدمه هذا الفرد من معلومات تخدم موضوع الدراسة، يطلب منه الباحث بعد الانتهاء من المقابلة أن

---

1 . رجاء وحيد دويدري، المرجع السابق، ص 314.

2 . نفس المرجع، ص 315.

يدله على أشخاص لديهم نفس الخصائص والمعايير والذين يرغبون في المشاركة بالدراسة، وهي مناسبة في حالة وجد الباحث صعوبة في تحديد المشاركين للدراسة[1] إن من بين النقاط التي قد تساهم في حصول الباحث على نتائج سليمة ودقيقة حول موضوع بحثه، هي الاختيار السليم لأفراد عينة الدراسة وذلك من خلال تجنب تحيز الباحث أثناء تحديد أفراد عينته لاعتبارات معينة، والتي من شأنها أن توجه نتائج الدراسة نحو المسار الذي يريده، وبالتالي عدم تحقق الموضوعية في دراسته، وكذلك يجب على الباحث أن يحاول أن تكون عينته ممثلة لمجتمع دراسته بأكبر قدر ممكن وهذا بهدف الحصول على نتائج دقيقة تمكنه من تعميم النتائج على جميع أفراد مجتمع الدراسة. إذن فمن خلال الاختيار الجيد لأفراد العينة نتمكن من الوصل إلى نتائج أدق.

1 . منذر الضامن، المرجع السابق، ص ص 171-172.

9- مراحل تكوين المنهج العلمي

1.9. في العصور القديمة

ونحن نقصد بالعصور القديمة.. الفترات التي عاش فيها المصريون القدماء والبابليون واليونان والرومان.. لقد كان اتجاه التفكير لدى قدماء المصريين اتجاهاً علمياً تطبيقياً لتحقيق غايات نفعية، ومن ثم كان اتجاه التفكير لديهم متصلا بالآلهة وبالخلود وبيوم الحساب، ومن ثم كان للكهنة نفوذ كبير. لقد كان الكهنة في مصر القديمة متمكنين من الرياضيات، واخترعوا المساحة Surveying، كما كانت براعة المصريين القدماء في علوم الهندسة والطب والزراعة ملحوظة.

أما بالنسبة لليونان القدماء، فقد أحرزوا تقدماً عظيماً في مبادئ البحث واعتمدوا اعتماداً كبيراً على التأمل والنظر العقلي المجرد، (عدم الاعتماد على التجربة)، فالمجتمع اليوناني في مرحلة انهياره كان مجتمعاً عبودياً طبقياً ينظر إلى كل عمل يدوي على أنه عمل غير دمث. لذلك فكل دراسة تحتاج إلى التجربة كان في نظرهم سوقية إلى حد ما. [1]

أما من ناحية مناهج البحث وأسلوب التفكير فقد وضع أرسطو قواعد المنهج القياسي أو الاستدلال...ولكن أرسطو فطن أيضاً للاستقراء ودعا إلى الاستعانة بالملاحظة، ولكنه لم يفصل خطوات المنهج الاستقرائي وكان الطابع التأملي غالباً على تفكيره.

---

1. أحمد بدر، أصــول البحث العلمي ومناهجه، ط9، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 1996، ص 75.

لقد اعتمد اليونان القدماء في بنائهم العلمي جزئيا على الاكتشافات السابقة التي سجلها المصريون والبابليون، ومن ثم نقب اليونان عن المعلومات التي توصل إليها هؤلاء في الفلك والطب والفيزياء والجغرافيا والهندسة، كما اهتم بعضهم بدراسة الآداب والأخلاق.

ويمكن أن نشير إلى بعض الأمثلة التي تدل على نطاق وأهمية إسهامهم الأساسي في المعرفة الإنسانية، فمن بين الأسماء القديمة التي نعرفها **فيثاغورسPythagoras** في الجغرافيا بالإضافة إلى الرياضيات والفلسفة (وكان ذلك حوالي 600 ق. م). أما **ديمقراطيس Democritus** (في حوالي 400 ق. م) فقد اقترح نظرية التنافر الذري **Atomestic theory** لشرح تركيب المادة، رغم أنه لم يكن لديه أدوات تساعده في بحث هذه المشكلة تجريبيا.

أما **هيبوقراط** فغالباً ما يسمى (أب الطب) وكان تلميذاً **لـديمقراطيس** الذي طور المعرفة والممارسة الطبية، بإصراره على التشخيص الدقيق ودراسة الجسم ووظائفه.

أما **بطليموس Ptolomy** (القرن الثاني بعد الميلاد) فقد كان مصرياً واستخدم الرياضيات اليونانية والمصرية، ليضع أو ل نظرية ملائمة عن حركة الكواكب...لقد شرح **بطليموس** ذلك على أساس رياضي..ورفض أن يعزو حركات الأجسام الثقيلة لأسباب تتصل بالقوى الخارقة للطبيعة Supernaturalوقد كانت هذه الفكرة السائدة في عصره، وكانت خطوته بذلك خطوة هامة في طريق البحث العلمي.

أما بالنسبة للتفكير العلمي عند الرومان..فقد كانوا ورثة المعرفة اليونانية وكان إسهامهم يتركز في الممارسة العلمية، أكثر من متابعتهم للمعرفة ذاتها...لقد كان الرومان صناع قوانين ومهندسين أكثر منهم مفكرين متأملين.

وافتقدت أوروبا الغربية_ لفترة من الزمن_ المعارف وطرق البحث بعد انهيار الإمبراطورية الرومانية، وأفول Decline الحضارة اليونانية الرومانية ولكن العرب كانوا هم مشعل العلم والبحث العلمي إلى أوروبا بعد ذلك.

2.9. في العصور الوسطى

ونحن نقصد بالعصور الوسطى الفترة التي ازدهرت فيها الحضارة العربية الإسلامية وفترة عصر النهضة في أو ربا، وذلك كله منذ حوالي القرن الثامن حتى القرن السادس عشر الميلادي.

لقد تجاوز الفكر العربي الحدود الصورية لمنطق **أرسطو**...أي أن العرب عارضوا المنهج القياسي وخرجوا على حدوده إلى اعتبار الملاحظة والتجربة مصدراً للبحث والتقدم العلمي.

اتبع العرب في إنتاجهم العلمي أساليب مبتكرة في البحث، فاعتمدوا على الاستقراء والملاحظة والتدريب العلمي والاستعانة بأدوات القياس للوصول إلى النتائج العلمية...ونبغ من هؤلاء كثيرون منهم **الحسن بن الهيثم** و**جابربن حيّان** و**محمد بن موسى الخوارزمي**، و**البيروني**، و**أبو بكر الرازي**، و**ابن سينا** وغيرهم.

وقد قال الدكتور **سارتون Sarton** أحد مشاهير العلماء الأمريكيين في تاريخ العلوم « لقد كان العرب أعظم معلمين في العالم في القرون الثلاثة: الثامن والحادي عشر والثاني عشر ميلادي...ولو لم تنقل إلينا كنوز الحكمة اليونانية لتوقف سير المدينة

بضعة قرون...فوجود حسن بن الهيثم وجابر بن حيان...وأمثالهما كان لازماً، وممهداً لظهور **غاليليو** و**نيوتن**..ولو لم يظهر **ابن الهيثم** لاضطر **نيوتن** أن يبدأ من حيث بدأ (ابن الهيثم...ولو لم يظهر جابر بن حيان لبدأ غاليليو من حيث بدأ (جابر)...أي أنه لولا جهود العرب لبدأت النهضة الأوروبية (في القرن الرابع عشر) من النقطة التي بدأ منها العرب نهضتهم العلمية في القرن الثامن للميلاد »[1]

ويمكن أن نشير إشارة عابرة إلى الرياضيات عند العرب، فلعل **محمد بن موسى الخوارزمي** هو أهم شخصية جديرة بالذكر، إذ كتب كتابا بعنوان (الجبر والمقابلة)، وعلى أساس هذا الكتاب قامت دراسات الجبر في العصور الوسطى الإسلامية والمسيحية، وبواسطته دخل النظام العشري بلاد أو ربا، ومن هنا يعد هذا الكتاب ذا أهمية عظمى، كما بدأت دراسة الكيمياء عند العرب، وعن العرب انتقلت المعارف الكيميائية إلى أوروبا في العصور الوسطى باسم الكيمياء Alchemy ولعل من بين الاهتمامات العديدة للعرب في هذا المجال ما يشتهر عنهم باهتماماتهم بتحقيق فرض عسير التحقيق، وهو تحويل المعادن إلى ذهب.

وخلاصة هذا كله أن العرب أسهموا بإنتاجهم العلمي الأصلي وأسهموا باصطناع منهج الاستقراء واتخذوا الملاحظة والتجربة أساس البحث العلمي وأنهم أفادوا من حضارة من سبقهم كاليونانيين والهنود...أنهم نقلوا هذا الحضارة جميعا إلى أوروبا في بداية عصر النهضة.

ومعنى ذلك إن إطلاع الأوربيين في بداية عصر النهضة على التراث العربي هو نقطة الانطلاق في الحضارة الأوربية التي ازدهرت بعد ذلك...وفي مقدمة من أرسى قواعد

---

1. أحمد بدر، المرجع السابق، ص 78.

التفكير والبحث العلمي في أو ربا **روجر بيكون (1294-1214م)** و**ليوناردي فينشي (1452-1515م)** وغيرهما ممن طالبوا باستخدام الملاحظة والتجريب وأدوات القياس للوصول إلى الحقائق وعارضوا منهج أرسطو في القياس المنطقي.

ولا بد لنا من أن نشير إلى أنه رغم مطالبة هؤلاء المفكرين يتبنى الطريقة العلمية إلا أنهم لم يستخدموا فعلا هذه الطريقة إلا في حدود ضيقة. كما ينبغي أيضا أن نشير إلى أنه رغم التحرر التدريجي من سلطان الكنيسة ورجال الكنيسة ورجال الدين إلا أن هذه السلطة كانت ما تزال لها فعاليتها. ومثال ذلك موقف السلطات الدينية من العالم **كوبر نيكوس Copernicus** في أواخر القرن السادس عشر لقوله بدوران الأرض حول الشمس، كما أحرقت الكنيسة في روما عام 1600 م عالما إيطاليا (**جيودا نوبرونو**) لإصراره على أن الأرض تدور حول الشمس.[1]

3.9. في العصر الحديث

ونحن نقصد بالعصر الحديث الفترة التي تبدأ من القرن السابع عشر وحتى وقتنا المعاصر، وفي هذه الفترة اكتملت دعائم التفكير العلمي في أوربا- أو كادت- وبدأت هذه الخطوات على يد الكثيرين وأهمهم فرانسيس بيكون وجون ستيوارت ميل وكلود برنارد وغيرهم.

لقد بعث **فرانسيس بيكون** الحياة في فكر **روجر بيكون**، وقال بالاستقراء الكامل وبالتجارب وجمع الأمثلة الكلية التي تنقض القانون العام، والتجارب وحدها لا تكفي، فلابد من الاستنباط والنشاط العقلي، وكان المنهج الصحيح عنده هو الذي يجمع بين التجربة والطريقة القياسية، أو بعبارة أدق هو الذي يجمع بين الاستقراء

---

1 .رجاء وحيد دويدري، المرجع السابق، ص 133.

الدائم على التجارب وبين القياس العقلي المحكم، وبذلك يعتبر **فرانسيس بيكون** مؤسس المنطق الحديث وفاتحة عصر جديد في البحث العلمي من خلال كتابه (الأداة الجديدة للعلوم Novum organ om scientiarum) والذي يفصل فيه قواعد المنهج التجريبي وخطواته.

إن جوهر العمل الذي قام به بيكون لم يكن علماً بقدر ما كان في مجال العلاقات الاجتماعية للعلم..وقد أشار بيكون بضرورة تخليص العلم من شوائبه الدينية، وضرورة إخضاعه بكلياته وجزئياته للملاحظة العلمية، وبمعنى آخر يجب أن يقوم العلم على أساس وضعي بعيد كل البعد عن كل تأثير ديني أو ميتافيزيقي.

كما قام بيكون بتصنيف الأخطاء الشائعة التي تعوق البحث العلمي فيما يلي:

1- أخطاء تعود إلى ضعف العقل الإنساني.

2- أخطاء تعود إلى اللغة التي يتعامل بها الفرد مع أقرانه، وعجزها عن التعبير الدقيق عن المعنى المقصود.

3- أخطاء تعود إلى اعتماد الفرد على أهل الثقة.

أما بالنسبة لخطوات المنهج التجريبي، فقد أو ضح **بيكون** أن على الباحث أن يجمع الحقائق التي تعتبر أساس المنهج الاستقرائي ومادته، كما بين بيكون أن هناك مرحلتين للبحث أولاهما مرحلة التجريب والثانية مرحلة اللوحات (3 لوحات) أو تسجيل التجربة، والخطوة التالية هي مقارنة ما تم تسجيله في اللوحات الثلاث (الحضور، الغياب، تفاوت الدرجات) لاستخلاص خصائص الظاهرة موضع الدراسة، ثم يقوم بالتحقق من النتائج لإثبات مدى صحتها أو خطئها، فالنتائج

الأولى هي مجرد فروض علمية، لا بد من اختبارها حتى يتأكد الباحث من صحتها لتصبح قاعدة أو قانونا.

وباختصار فقد وضع بيكون مجرد مبادئ وملاحظات اهتدى بها من جاء بعده من الباحثين مثل **جون ستيوارت ميل** و**كلود برناد** اللذين نضج على أيديهما المنهج التجريبي وتثبتت دعائمه.

جاء بعد **بيكون** الفيلسوف الفرنسي **ديكارت** ورأى بأن يضع للعلوم كلها منهجا وأحدا صوَّره في مبحثه (مقال في المنهج) وقد هاجم المنهج الأرسطي لعدم أخذه بالشك، وهاجم فرانسيس بيكون لأنه اعتمد على التجربة والمشاهدة الحسية في استنباط القوانين الطبيعية، وأتى بمنهجه الجديد الذي يعتمد على البراهين الرياضية.

وقد اتفق جميع من أتى بعد **بيكون** و**ديكارت** على أن المنطق الأرسطي انتهى زمنه، وأنه ينبغي أن يحل محله المنهج العلمي، الذي ينبغي أن يعتمد على دراسة الظواهر ورصدها مع الجمع بين التفكير النظري وبين الملاحظة والتجربة كلمت سنحت الفرصة أو سمحت الظواهر الطبيعية باستخدامها، وهو بذلك منهج يجمع بين قوانين العلوم الرياضية وقوانين العلوم الطبيعية التجريبية، ويقدرهما جميعا، وأيضا فإنه يقدر العلوم الإنسانية كعلم الاجتماع والتاريخ والاقتصاد...فلكل علم طبيعته ومن الصعب أن يوضع لكل العلوم قوانين عامة مطلقة على نحو ما حاول أرسطو قديما في منطقه.[1]

---

1 .رجاء وحيد دويدري، المرجع السابق، ص 135.

ولعل مسيرة البحث العلمي الكبرى_ خصوصا في العلوم الطبيعية_ يمكن أن تعود إلى التجارب التي أجراها **جاليليو** في الفيزياءGalileo، S. Experimental Work وذلك في أوائل القرن السابع عشر، وتوج هذا العصر باكتشاف اللوغاريتم Logarithmsعلى يد العالم **نابير** (عام 1614) وبحوث **هارفي** Harveyعلى الدورة الدموية (وإن كان **ابن النفيس** العربي قد سبقه إلى ذلك)..وكذلك استخدام الرموز العشرية على يد بريجز (Briggsعام 1618). ثم يظهر **بويل** Boyleكأب للكيمياء الحديثة وأفكار **نيوتن** newton الرياضية عن قوانين الجاذبية (عام 1679) وغيرهم.

وفي متابعتنا لمسيرة البحث العلمي منذ القرن السابع عشر، يمكن أن نقول بأن العلوم الجيولوجية والبيولوجية قد ازدهرت كميادين جديدة للدراسة والبحث، والعمل الذي قام به رجال مثل **ليلLyell** و**داروين Darwin**في هذه المجالات قد غير من الصورة الكلية التي لدينا عن العالم الطبيعي. ولقد بدأت دراسة علم الآثار (مبتدئة باكتشاف الحفريات على يد **شليمانSchliemann** وعلم النفس (كعلم نام عن علم الفراسة pysiognomy) وعلم دراسة شكل الجمجمة_ كدليل على الشخصية والملكات العقليةphrenologyفي خلال القرن التاسع عشر. وكانت التطورات الخاصة باستخدام الكيمياء الحيوية والبكتريولوجيا في دراسة المشاكل الطبية واستخدام أفكار جديدة في الفيزياء للوصول إلى تحطيم الذرة..هذه كلها قد تمت إلى حد كبير خلال القرن العشرين. [1]

---

1 .أحمد بدر، المرجع السابق، ص 83.

وفي نفس الوقت كان قد بدأ البحث في مجالات جديدة نسبيا كالعلاقات الاجتماعية والاقتصاد والتعليم وغيرها، وذلك باستخدام الطريقة العلمية الاستخدام الأمثل كأداة للبحث في مختلف المجالات. إن النمو الملحوظ في التكنولوجيا وفي جميع عناصر الحضارة المعاصرة يمكن أن يعزي إلى حد كبير إلى استخدامنا للبحث العلمي..وحتى نرى نتائج البحث العلمي فيكفي أن نمعن النظر فيما حولنا.

10- العمليات الأساسية في المنهج العلمي

1.10. الاستنباط

ينطلق التفكير الاستنباطي من أن ما يصدق على الكل يصدق على الجزء، فهو عبارة عن معرفة موثوقة في صدقها يسلم الباحث في البداية على الاعتراف بها، ومن ثم يقيس بها، وهي تشمل ثلاثة خطوات أساسية وعلى قضيتين أساسيتين يؤديان إلى نتيجة حتمية وهو ما يعرف بالقياس.

يستخدم الاستنباط في المشكلات البسيطة كمشكلة صياغة الفروض أو الكشف عن جرائم، أو استبعاد بعض المعارف غير الموضوعية، ولقد كان هذا القياس الاستنباطي مستخدما لفترات زمنية طويلة، وبالذات في حالة استبعاد بعض المعلومات التي يستحيل أن تكون شريكة في الموقف، ويساعد التفكير الاستنباطي في الوصول إلى أدلة حاسمة لإثبات صدق نتيجة معينة أو مسلمة في القضية الكبرى أو المصادر التي جاءت في صدر الاستنباط. [1]

2.10. الاستقراء

وهو وسيلة الوصول إلى المعرفة دون مسلمة أو حقائق ثانية مسبقة، وفي ظل التفكير الاستقرائي بجمع الباحث الحقائق والأدلة التي يمكن أن يصل عن طريقها إلى تعميمات أقرب إلى الحقيقة الكاملة، وهي التي تمثل عكس طريق الاستنباط،

---

1. أحمد مصطفى محمد خاطر، استخدام المنهج العلمي في بحوث الخدمة الاجتماعية، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، 2004، ص ص39-40.

ذلك لأن القضايا العامة التي تصل إليها عن طريق الاستقراء يمكن أن تكون قضايا أولية، في حين الاستنباط يستدل من خلالها عن طريق القضايا الفرعية.[1]

3.10. الفهـــم

عندما نقول أننا نفهم ظاهرة معينة فإن هذا يعني أننا نجد علاقة تربط بينهما وبين الظواهر الأخرى، أما إذا لم نجد أي علاقة لها بأية ظاهرة أخرى فإنها تظل غامضة غير مفهومة أو معروفة، فالفهم يتم بعملية الربط وإدراك العلاقات بين الظواهر المراد تفسيرها والأحداث التي تلازمها أو تسبقها، وما دمنا نفهم الظاهرة السلوكية فنحن قادرون على وصف وتفسير تلك الظاهرة وصفا وتفسيرا ينطلقان من فهم علمي دقيق لتلك الظاهرة. [2]

4.10. الوصـــف

إن المقصود بالوصف هو وصف الظاهرة، أو الأحداث أو الأشياء أو المشكلات التي تستفز الباحث أو التي تحيط بالإنسان والتي يمكن ملاحظتها عن طريق:

- رصد الظاهرة وتسجيلها.

-تبويب المعلومات المتعلقة بالظاهرة وتصنيفها.

والوصف يمثل الخطوة الأولى على طريق الوصول إلى الحقيقة أو المعرفة العلمية لأن عملية الوصف تعد تصويرا دقيقا للظواهر المبحوثة، وسبيلا لمعرفة جميع ما يربط الظاهرة من أمور تعد ذات شأن فيها، ويمكن أن يحصل الوصف عن طريق

---

1. أحمد مصطفى محمد خاطر، المرجع السابق، ص 41.

2. سامي محمد ملحم، المرجع السابق، ص ص 31-32.

الملاحظة والتجريب أو الاختبار أو المقابلات الشخصية فيتم رصد مؤشرات الظاهرة وأبعادها المختلفة وتحديد المكونات وتحديد خصائصها.[1]

5.10. التفسير

ويعني معرفة أسباب حدوث الظاهرة، فإن ما توصل الباحث إلى تفسير ظاهرة تمدد المعادن بالحرارة بأن جزئيات المادة المعدنية إذا ما تعرضت إلى مصدر حراري تتحرك لأن الحرارة تثيرها فينجم عن حركتها تدافع بين جزئيتها وابتعاد بعضها عن بعض فيترتب على ذلك توسع الحيز الذي تشغله المادة فيحصل التمدد، وبهذا نكون قد فسرنا الظاهرة.[2]

6.10. التصور

هو عملية بناء الواقع من طرف الشخص، إذ يشكل جهدا في النشاط النفسي باعتباره عمل أو إجراء يرتكز على عدد من الادراكات المتكررة في بناء جملة من المعلومات التي موضوعها الواقع، إذ يمكن اعتبار التصور شبكة لقراءة الواقع، وبالتالي يمكن للشخص أن يكون تصوره عن ظاهرة ما خلال تفاعله مع واقعة المعاش.

7.10. التجريب

تهدف عملية التجريب لإثبات مدى سلامة وصحة فرضيات البحث، عن طريق استبعاد الفرضيات التي تثبت يقينا عدم صحتها وعدم صلاحيتها لتفسير الظواهر والوقائع علميا، وإثبات صحة الفرضيات العلمية بواسطة إجراء عملية التجريب

---

1. محسن علي عطية، المرجع السابق، ص ص27 -28.
2. نفس المرجع، ص28.

في أحوال وظروف وأو ضاع مختلفة والإطالة والتنوع في التجريب على ذات الفرضيات، وإذا ما ثبت صحتها علميا ويقينا تتحول إلى قاعدة ثابتة وعامة ونظريات علمية تكشف وتفسر وتتنبأ بالظواهر والوقائع.[1]

8.10. التجريد

فعل التجريد هو القيام بعملية عزل جزء مكون للكل بواسطة التفكير، وذلك مثل فصل عنصر من عناصر الظاهرة واعتباره مستقلا عن العناصر الأخرى، فاللون الأخضر مثلا يمكن أن يكون منتوج لونين نسميهما أوليين وهما اللون الأزرق واللون الأصفر، كما أن الحديث عن الديموقراطية مثلا أو عن عقدة أوديب هو بمثابة العودة إلى حقائق بنيت بفضل القدرة على التجريد، والتي من دونها ستظل بعض الظواهر غامضة وغير مفهومة.[2]

9.10. التصنيف

يهدف العلم إلى تصنيف وترتيب الظواهر وذلك من خلال القيام باختصارها واختزالها في بعض الفئات من العناصر وذلك بتجميعها حسب بعض المقاييس ومدى ملاءمتها، ذلك لأن بعض هذه الظواهر يتميز بالتقارب والتشابه إذا ما قيست مع ظواهر أخرى، فالتصنيف هو تجميع الأشياء والظواهر انطلاقا من مقياس أو عدة مقاييس.[3]

---

1. ماجد محمد الخياط، المرجع السابق، ص ص 172-173.
2. موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، ترجمة: بوزيد صحراوي وآخرون، ط2، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2004، ص 35.
3. نفس المرجع ص57.

10 .10. التحليل والتركيب

يقوم التفكير العلمي على التحليل، فالباحث يقوم بتحليل الظاهرة إلى أبسط العناصر بهدف فهمها ومعرفة العلاقات التي تقوم بينها، فقوة الجذب بين جسمين مثلا لا تتوقف على كتلة كل منها فقط بل كذلك على المسافة بينهما وسرعة حركة كل منهما، كما يستخدم التحليل في الرياضيات وكذا في العلوم الإنسانية والاجتماعية.

كما يقوم التفكير العلمي على التركيب، وهو صفة مكملة لعملية التحليل فبواسطة التحليل يتمكن الباحث من التعرف على الأجزاء المكونة للظاهرة والعلاقات التي تربط بينهما، كما يستطيع الباحث إعادة تركيب العناصر البسيطة الموجودة في الظاهرة بنفس العلاقات بينهما، وذلك بعد مراجعة التحليل السابق واثبات صحته.

11. مقارنة بين العلوم الطبيعة والعلوم الاجتماعية

تهدف العلوم الطبيعية إلى دراسة الطبيعة ويشمل هذا المصطلح على العالم الفيزيقي وكذا عالم الأحياء وبكلمة أخرى فإن كل ما هو موجود ومنتج دون تدخل الإنسان نسميه بالطبيعة، أما الفروع الخاصة مثل الفيزياء أو الكيمياء والبيولوجيا فقد وضعت أصلا لدراسة هذه الطبيعة. [1]

أم الهدف من العلوم الإنسانية هو معرفة وفهم الإنسان ومعنى أو دلالة أفعاله أي أنها تعتبر الإنسان موضوع دراسة لها.

وقد كانت تسمى في السابق بعلوم الإنسان، ثم سميت لاحقا بالعلوم الاجتماعية خاصة في الدول الانجلوسكسونية.

وفيما يلي سنحاول المقارنة بين العلوم الطبيعة والعلوم الاجتماعية في مجموعة من النقاط:

- **موضوع الدراسة**

تعالج العلوم الطبيعية والاجتماعية أجزاء من نفس مادة الدراسة ومع ذلك توجد عوامل معينة تميز العلوم الاجتماعية عن العلوم الطبيعية، فالعلوم الطبيعية تهتم بالظواهر الفيزيقية، وعلى الرغم من وجود عناصر فيزيقية في الوقائع الاجتماعية، إلا أن تفسير الظواهر في العلوم الاجتماعية تحتاج في أغلب الأحيان إلى شيء أخر غير قوانين الكيمياء والفيزياء، فإذا ضرب المعلم طفلا قدمت لنا قوانين الفيزياء والكيمياء والفيزيولوجيا تفسيرات جزئية لهذا الحدث ولكنها تفشل

1. موريس أنجرس، المرجع السابق، ص58.

في تبرير بعض الجوانب الهامة للفعل مثل لماذا عاقب المعلم الطفل وكيف كان شعور الطفل أثناء العقاب....الخ.

إن مادة العلوم الطبيعية ابسط من تلك التي تعالجها العلوم الاجتماعية لأنها تتعامل مع الظواهر على مستوى وأحد هو المستوى الفيزيقي ولا يتضمن الموقف على المستوى الفيزيقي بصفة عامة إلا عداد قليلا نسبيا من المتغيرات ويمكن قياسها بدقة تامة، أما العلوم الاجتماعية تتعامل مع حالات أكثر تعقيدا لأنها تهتم بالإنسان كفرد وعضو في جماعة، لذلك قد تتضمن المشكلات الاجتماعية عداد كبيرا من المتغيرات التي تغمر الباحث باحتمالات متعددة ينبغي عليه أن يأخذها بعين الاعتبار. [1]

- **ملاحظة موضوع الدراسة:**

إن الأدوات التي يستخدمها الباحث في العلوم الاجتماعية لا تتصف بالدقة، فمثلا عندما يلاحظ باحث ظاهرة انحراف الأحداث ويقوم على تصنيف الأطفال ويدعي أن بعضهم أشد انحرافا عن البعض الآخر، فإن طلبنا منه أن يفسر لنا معنى كلمة (أشد انحرافا) فنجده يحاول التفسير من خلال العودة إلى الجريمة، ولكن هذا الكلام مردود عليه بأن هناك انحراف ينتهي إلى السرقة عدة مرات بينما هناك انحراف لمرة وأحدة ينتهي بالقتل العمد، فأيهما أشد انحرافا...؟ وإذا أخذنا نوع الجريمة (القاتل أشد انحرافا من السارق) نجد أنه ربما القتل جاء وليد الصدفة في لحظة دفاع عن النفس أو غضب، أما السرقة فهي تحتاج إلى تدبير وإصرار

---

1. ديوبولد بقان دالين، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ترجمة: محمد نبيل نوفل وآخرون، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1997، ص75.

وترصد مسبق لارتكاب الجريمة وبتالي أيضا قد تكون قضايا النصب وهي تحتاج إلى مجرم يتصف بالدهاء والذكاء أكثر الجرائم التي لا تراق فيها الدماء ولكن نتائجها تكون أشد وطأة أحيانا[1].

يستطيع العالم الاجتماعي أن يلاحظ بعض الظواهر الاجتماعية الراهنة ملاحظة مباشرة ولكنه لا يستطيع أن يكشف عن البعض الآخر لكي يضعه موضع البحث، فمثلا يمكن الباحث أن يلاحظ طفلا يصفع زميله أو أن يحصي عدد الكلمات التي يقرأها الطفل وقياس قوة سمعه، ولكن بعض العوامل الاجتماعية لا تخضع للفحص المباشر (الملاحظة المباشرة) لأنها تتعلق بالشعور الداخلي مثل رغبات ودوافع الطفل وأحلامه، وهنا يجد الباحث نفسه بين خيارين إما أن يفسر الحالة الداخلية بنفسه ولن يستطيع فعل ذلك إلا في ضوء خبراته هو الأمر الذي يترك مجالا للأخطاء، أو يقبل وصف الشخص موضع البحث لحالته الداخلية، وهنا قد يكون هذا الوصف غير دقيق.[2]

- **تجانس موضوع الدراسة:**

إن الوقائع الاجتماعية أكثر تباينا من الوقائع الفيزيقية، ففي معظم الحالات يعطي فحص سنتيمتر مكعب من حامض الكبريت نفس النتائج التي يعطيها سنتمتر آخر من نفس الحامض.

لكن النتائج التي نحصل عليها من دراسة ثلاثين تلميذا من أحد الفصول الدراسية لا يشترط أن تتفق مع نتائج دراسة مجموعة مماثلة في العدد والسن من مدينة

1. احمد مصطفى محمد خاطر، المرجع السابق، ص72.
2. بقان دالين، المرجع السابق، ص77.

أخرى. كذلك قد يختلف طفل في العاشرة من عمره اختلافا كبيرا عن أقرانه في السن من حيث الطول، والوزن وعدد الكلمات التي يعرفها وتحصيله في الحساب، صحيح أن المنهج الاجتماعي يستطيع في بعض الحالات أن يعامل كل الأفراد معاملة وأحدة مثل ما يحدث في جدول المواليد، لكن نظرا لاتساع شقة التباين بين الناس، يجد العالم الاجتماعي غالبا خطورة في تعميم النتائج التي حصل عليها من دراسة عينة منتقاة على جميع أفراد مجتمع الدراسة.[1]

- **عدم تكرار موضوع الدراسة**

إن أحد أهم أسباب تقدم العلوم الطبيعية الوصول فيها إلى القوانين، إنما يرجع إلى القدرة على تكرار موضوع أو مادة الدراسة، أو إجراء تجارب بنفس الشروط السابقة للظاهرة الطبيعية، وبالتالي يسهل على العالم الطبيعي أن يعيد ظروف الظاهرة ويعزل بعض المتغيرات أو يدخل عليها متغيرات جديدة، ولذلك يسهل عليه اكتشاف العلاقات بين المتغيرات وإصدار التعميمات والوصول إلى قوانين، ويمكن له أن يعيد التجربة مرات ومرات للتأكد من صدق وثبات النتائج.

أما بالنسبة للإنسان فلا نستطيع أن نخضعه للتجربة، فليس من المعقول أن نقوم بتطليق زوجة من زوجها أو تعمد في أحداث تفكك في الأسرة من أجل أن تشاهد تأثير ذلك على انحراف الأبناء، ولكن الحياة يمكن أن تمدنا بإعادة لهذه التجربة من خلال أشخاص آخرين وفي زمن آخر وفي ظروف أخرى، ويمكن أن نقيس عليها، ولكن لا نستطيع التعميم لأن التشابه لم ولن يكون مطلقا في الحالتين.

---

1. بقان دالين، المرجع السابق، ص 77.

- **علاقة الباحث بموضوع الدراسة**

إن العلاقة بين الباحث في العلوم الطبيعية والظواهر التي يدرسها علاقة قائمة على أساس تحقيق المزيد من التقدم العلمي، سواء في الفهم أو التفسير أو التحكم في هذه الظواهر، فهي علاقة تتصف بالحياد أو الموضوعية، لكن الباحث في العلوم الاجتماعية لا يستطيع أن يحقق أو يصل إلى الموضوعية الكاملة في العلاقة مع الظواهر والمواقف الاجتماعية التي يدرسها، وذلك لأسباب عديدة. [1]فيمكن أن يكون التحيز من جانب الباحث نفسه من خلال عدة مواقف من بينها اختيار ظاهرة معينة يقوم على دراستها، أو في تحديد الفروض التي يسعى للتحقق منها، أو في جمعه البيانات والحقائق التي تؤكد صدق فروضه والتقليل من أهمية أو عدم الالتفات إلى أي بيانات أو معلومات تثبت ما هو عكس ذلك، أو عند قيامه بتفسير النتائج وفقا لإطار نظري مرجعي تم بناءه من التوجهات الشخصية أو محدودية معلوماته وخبراته وبالتالي تكون النتائج في ضوء خياراته وخلفيته النفسية والاجتماعية والقيمية والثقافية بصفة عامة، فيتدخل الجانب العاطفي في الإنسان بحكم أن الإنسان له جوانب جسميه ونفسية واجتماعية لا نستطيع الفصل بينها.

إن الباحث في العلوم الطبيعية يدرس الظاهرة وهو ليس طرفا فيها، بينما الباحث في العلوم الاجتماعية يدرس الظاهرة الاجتماعية وهو طرف فيها. [2]

1. احمد مصطفى محمد خاطر، المرجع السابق، ص ص 74- 75.
2. نفس المرجع، ص75.

12. المناهج الكمية والمناهج الكيفية

1.12. المنهج الكمي

يعتمد المنهج الكمي على تقنيات المنهج التجريبي لكلود برنار الذي يحتوي على أربعة مراحل وهي الملاحظة والفرضية والتجربة وتعميم النتائج في صورة قوانين علمية ويكن أن نقسم البحث في العلوم الاجتماعية إلى:

- **المرحلة التحضيرية**: ويتم فيها تحديد المفاهيم وطرح الإشكالية وصياغة الفرضية.
- **المرحلة الميدانية:** أو المرحلة التجريبية التي يتم فيها إثبات صحة الفرضية أو خطئها. [1]

ففي الدراسات الكمية يتم تصميم الدراسة (وضع فرضيات، وصف المتغيرات وأدوات القياس....) عند إعداد موضوع الدراسة وقبل البدء في جمع البيانات كما أن المفاهيم التي يتم استخدمها في البحوث الكمية يتم تعريفها إجرائيا، حتى يمكن اختيار التي تم تحديدها من البداية، ويجب أن يتأكد الباحث أن المقاييس كالاستبيان مثلا هي مقاييس صادقة وثابة من خلال إجراء اختبارات الصدق والثبات المعروفة، وبعد القيام بالإجراءات السابقة يتم جمع البيانات وتبويبها بشكل كمي رقمي، ثم يجري عليها التحليل الإحصائي للوصول إلى نتائج الدراسة، ويلا حظ أن التحيز يتم تجنبه من خلال الاختيار العشوائي لأفراد العينة من مجتمع الدراسة.

---

1. خميس طعم الله، مناهج البحث وأدواته في العلوم الاجتماعية، مركز النشر الجامعي، تونس 2004، ص ص 59- 60.

وخلاصة القول أن الهدف من الدراسة الكمية هو اختبار النظرية بأسلوب قياسي من خلال إثبات صحة الفرضيات التي حددها الباحث في مشروع الدراسة، إلا انه يجب الإشارة إلى أن الدراسة الكمية تعاني أيضا من بعض الأخطاء مثل أخطاء المعاينة أو أخطاء القياس وهناك احتمال إلى تحيز الباحث في أي مرحلة من مراحل الدراسة.

متى يتم استخدام الدراسات الكمية؟

يتم استخدام الدراسات الكمية عندما تكون هناك معرفة متوفرة حول الموضوع الذي يرغب الباحث في دراسته، بمعنى أن هناك نظريات محددة وأدبيات سابقة تتوفر لدى الباحث، كما أن درجة وضوح الظاهرة أو المشكلة قيد الدراسة يتمكن الباحث من استخدام المنهج الكمي في الدراسة، هذا إلى توفر مقاييس ثابتة وصادقة إحصائيا حول المتغيرات المراد دراسة العلاقات بينها. [1]

2.12. المنهج الكيفي (النوعي)

يشير المنهج الكيفي إلى تلك الاستراتيجيات البحثية مثل الملاحظة بالمشاركة والمقابلة المتعمقة والمعايشة الشاملة للنشاط الاجتماعي والبحث الحقلي.....الخ. والتي تسمح للباحث بأن يحصل على معرفة مباشرة من العالم الواقعي الذي يتناوله بالبحث والدراسة وعلى هذا النحو يستطيع الباحث الذي يستخدم المنهج الكيفي أن يكون وثيق الصلة بالبيانات التي يحصل عليها من خلال اندماجه المباشر بالواقع، إن هذا الاتصال المباشر بالواقع ينتج عنه تحليل عميق للبيانات يتسم بالشمول والقدرة على الوصف الدقيق والتشخيص الصحيح للمواقف

1. ماجد محمد الخياط، المرجع السابق، ص70.

والاتجاهات والمشاعر والانفعالات والدوافع والعلاقات الاجتماعية وبذلك يُمَكِننا هذا التحليل المعمق والفهم المتكامل للظواهر من التأكد من صدق وثبات أدوات البحث الكيفي بدلا من الوقت الكبير الذي نضيعه في عملية التحقيق من صدق وثبات أدوات البحث الكمي.

فالمناهج الكيفية هي طريقة للبحث ومدخلا يمكننا من الحصول على معرفة صادقة عن الواقع (الظاهرة)، ذلك أننا لكي نستطيع التنبؤ بالسلوك علينا أن نفهم العملية المعقدة للتفاعل الاجتماعي بين البشر، وهذا بدوره يحتاج إلى توافر معلومات حول المواقف والبيئة الشاملة المؤثرة في الظاهرة المدروسة والفشل في الحصول على هذه المعلومات لن يمكن الباحث من تحقيق أهدافه. [1]

متى يتم استخدام المنهج الكيفي؟

يتم اللجوء إلى الدراسات النوعية عندما تكون هناك معرفة محدودة أو بسيطة عن مجال وموضوع البحث، وعندما يشك الباحث في المعرفة المتاحة حول الموضوع أو أن الباحث يراها متحيزة، وعندما يكون سؤال البحث موجها، أو يسعى لفهم أو وصف ظاهرة معينة أو حدث معين لا يعرف الباحث الكثير عنه، أو تتوفر عنه معرفة محددة ومن هذا المنظور فإن جزءا كبيرا من الدراسات الاستكشافية يعد نوعا من الدراسات النوعية، ذلك أن البحث الاستكشافي يتم استخدامه عندما لا تتوفر معلومات كافية عن الظاهرة أو المشكلة قيد البحث، خاصة في حالة عدم توفر دراسات سابقة حول المشكلة قيد الدراسة. [2]

---

1. محي الدين مختار، المرجع السابق، ص ص127-128.
2. ماجد محمد الخياط، المرجع السابق، ص193.

3.12. معايير الاختيار بين المناهج الكمية والنوعية

هناك عدة اعتبارات يمكن الاسترشاد بها عند الاختيار بين المنهجين الكمي والنوعي في الدراسة وهي:

- **طبيعة الظاهرة قيد الدراسة:**

إن نوعية المتغيرات وطبيعة التساؤلات التي يطرحها الباحث تساعد في معرفة المنهج الذي يجب إتباعه (كمي/ نوعي)، فعلى سبيل المثال إذا كان هدف الدراسة هو اكتشاف أو معرفة اتجاهات الطلبة نحو استخدام الحاسوب في التدريس فإن مثل هذه الدراسة يمكن إلى حد ما قياس المتغيرات فيها بمقاييس ثابتة وصادقة إحصائيا، وهنا تكون الدراسة الكمية مناسبة أكثر من نظيرتها النوعية ومثال أخر: إذا كان هدف الدراسة هو قياس متغيرات ضغط العمل لدى العاملين في مؤسسة ما، فإن مثل هذا المتغير له مقاييس ثابتة وصادقة إحصائيا، ومن ثمة تبدو الدراسة الكمية أفضل من الدراسة النوعية، وعلى الرغم من ذلك فإن هذا لا يمنع استخدام المنهج النوعي في دراسة المتغيرات التي يمكن دراستها في ظل المنهج الكمي.

- **درجة نضج المفهوم**

يقصد بدرجة نضج المفهوم الكم المتاح أو المتوفر من المعرفة عن هذا المفهوم أو الدرجة التي تم بها دراسة هذا المفهوم من قبل الباحثين، ولتوضيح ذلك نقول أنه إذا كانت الدراسات المتاحة حول نفس الموضوع قليلة ومعنى هذا لم تدرس بالشكل الكافي الذي يسمح معه استخدام المنهج الكمي في الدراسة، عندها يجب علينا أن نتجه إلى المنهج النوعي، فعلى سبيل المثال هناك موضوعات تكون الأدبيات حولها محدودة مثل مفهوم التوحد، فهنا يجب على الباحث التوجه إلى المنهج الكيفي ليتعرف على هذا المفهوم بصورة أدق وأفضل، وقد يصل إلى تحديد المفهوم بشكل

أقل مما هو عليه الآن، فيعطي الفرصة للآخرين لاستخدام نتائج دراسته كأساس لقيام دراسات أخرى تعتمد المنهج الكمي في الدراسة، خاصة إذا كان ما توصل إليه صادقا.

- **وجود صعوبة تتعلق بموضوع أو بمجتمع الدراسة**

قد توجد صعوبة تتعلق بموضوعات الدراسة أو مجتمع الدراسة تحول دون استخدام أحد المنهجين (الكمي أو الكيفي) فعلى سبيل المثال فإنه مستوى تأهيل أو تعليم أو مستوى اللغة لدى أفراد العينة يؤثر في اختيار المنهج الكمي في الدراسة، بمعنى هل هؤلاء الأفراد قادرون على قراءة المقياس المستخدم في الدراسة (الاستبيان مثلا) وكذا نوع عينة الدراسة، هل هم كبار في السن أو من الأطفال فمثلا إذا كانوا من الأطفال فإن أسلوب الملاحظة وتسجيل سلوك الأفراد وتحليله يبدو مناسبا في هذه الحالة عن أدوات المنهج الكمي مثل الاستبيان. [1]

- **استخدام المنهجين النوعي والكمي معا في الدراسة**

يمكن استخدام المنهج الكمي والنوعي في دراسة وأحدة ومثل هذه الدراسات عادة ما تصل إلى نتائج جيدة وموثوق فيها ويتم استخدام المنهجين معا كما يلي:

- **استخدام منهجين بشكل تتابعي:** ويكون ذلك عندما يبدأ الباحث بالمنهج النوعي أثناء إعداد مخطط الدراسة حتى يصل إلى الفرضيات وعند اختيار تلك الفرضيات يتبع المنهج الكمي عن طريق عينة كبيرة فعلى سبيل المثال إذا كان البحث بصدد دراسة حول سمات الطفل التوحدي فيبدأ الباحث بملاحظة مجموعة معينة من الأطفال من خلال سلوكياتهم وعلاقاتهم بالآخرين...الخ، ثم يصل إلى فرضيات

1. ماجد محمد الخياط، المرجع السابق، ص72.

معينة حول الموضوع، وعند اختيار تلك الفرضيات يعتمد عل عينة كبيرة مستخدما المنهج الكمي في الدراسة.

- **استخدام المنهجين معا وفي نفس الوقت:** ويعني ذلك دراسة الظاهرة بأكثر من طريقة فعلى سبيل المثال يمكن أن يشمل الاستبيان في دراسة ما أسئلة مغلقة وأخرى مفتوحة، ويتم تحليل بيانات الأسئلة المغلقة كميا، فيما يتم تحليل الأسئلة المفتوحة نوعيا.

- **أسلوب الدراسة**

إن الأسلوب المتبع في الدراسة يشمل تحديد المعايير المستخدمة في الدراسة هل هي نوعية أم كمية أو نوعية وكمية معا، ثم تحديد مجتمع الدراسة وعينة الدراسة ومحددات الدراسة.[1]

4.12. الفرق بين البحوث الكمية والنوعية

يبرز الفرق بين البحوث الكمية والبحوث النوعية في طريقة جمع البيانات والمعلومات، فالبحوث الكمية تركز على الأعداد والأرقام والجداول والبيانات الرقمية، في حين تهتم البحوث الكيفية بالمعلومات والمفردات والكلمات والجمل التوضيحية.

والبحث النوعي أشبه باستقصاء أو دراسة لحالة معينة أو ظاهرة يقوم من خلالها الباحث بجمع المعلومات وبياناته من خلال المشاركة الحقيقية في موقع الظاهرة، فإذا كان الباحث النوعي يريد دراسة سلوك الطلبة في مدرسة ما، فيقوم بزيارة المدرسة وملاحظة أوضاعها، وإجراء مقابلات مع العاملين فيها، فهو يحاول أن يقوم

1. ماجد محمد الخياط، المرجع السابق، ص74.

بوصف معمق وغني لهذه الظاهرة في نفس الموقع الذي تحدث فيه، ليقدم في النهاية بحثه تحليلا للمعلومات التي تحصل عليها، ويصوغ نتائج الدراسة على ضوئها، بينما يرى الباحث الكمي أن الحقيقة مستقلة تماما عن الآخرين، ويمكن دراستها وحدها بغض النظر عن أية علاقات.

- يقدم الباحث النوعي نتائجه من خلال العلاقات بين الظاهرة والناس ومشاعرهم فالحقيقة عنده بناء اجتماعي منسوج مع ظواهر وعلاقات أخرى، بينما يحاول الباحث الكمي قياس هذه الظاهرة بشكل منعزل ومستقل.

- يحاول الباحث الكمي قياس الظاهرة وإيجاد العلاقات الرقمية بين الأسباب والنتائج والتعبير عنها رقميا، بينما يهتم الباحث النوعي بفهم الظاهرة من خلال علاقتها بمشاعر وإدراكات ذوي العلاقة.

-يهدف البحث الكمي إلى تعميم نتائج دراسته لتشمل حالات أخرى، فهو يختار عينة مماثلة ليتمكن من تعميم النتائج، أما البحث النوعي فيحاول فهم الظاهرة في الظروف التي تمت فيها، ولا يهدف إلى تعميم النتائج على حالات أخرى، ولذلك يختار عينة عرضية لها علاقة بالظاهرة.

- يضع الباحث الكمي خطته وأسئلته ويصمم بحثه بشكل مسبق، ويلتزم بكل ما خطط له، أم الباحث النوعي فيملك مرونة واسعة في تغيير خطته، فهي قابلة للتغير المستمر.

- الباحث الكمي يلتزم بالموضوعية بشكل دقيق، لا يتدخل ولا يتحيز ولا يفسر الظاهرة من وجهة نظره، بينما الباحث النوعي يكون طرفا في البحث وطرفا في الموقع ولذلك تنتقل ذاتيته في الأحداث لأنه طرف مشارك لا محايد كالباحث الكمي. (نقل عن برنامج المكتبة الشاملة).

13. الموضوعية والذاتية في العلوم الاجتماعية

هل يوجد باحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية متخلص من ذاتيته؟ كلا خاصة وأن الاتجاهات والمعتقدات والأفكار والرغبات كثيرا ما تكون وراء اختيارات الباحث لموضوع بحثه، والذاتية ليست تعبيرا عن ذات الفرد بل إنها المتكونة من التنشئة الاجتماعية ووفق مميزات أو خصوصية المجتمع الذي ينتمي إليه الباحث.[1]

- **الذاتية**

فحتى في العلم الذي يعتبر ميدانا للموضوعية يدخل منذ البداية عنصر الذاتية، إنها المصلحة، إن البحث العلمي يتطلب من الباحث استخدام كل طاقته الشيء الذي يجعل من صعب عليه أن لا يجد مصلحته من هذا البحث، بنفس الكيفية فإن المصلحة تمده بالدافعية إلى الوصول بمشروع البحث إلى هدفه، بكلمة أخرى لا يستطيع الباحث أن يكون حياديا أمام الواقع، واتخاذ الحيطة والحذر من كل أعراض الذاتية هو في حد ذاته خطوة نحو الموضوعية، وبهذا المعنى فإن الباحث يحاول أن يتجاوز أبعد ما يُمَكِن أفكاره المسبقة واستعمال كل الوسائل الموجودة تحت تصرفه حتى يتجنب التلاعب أو التدليس الذي يمكن أن تكون النتائج التي يطمح بلوغها عرضة له، وكذا أن يروض الباحث ذاتيته ويجعل طاقته ومصلحته في خدمة مشروع البحث الجاري انجازه.[2]

---

1. عقيل حسن عقيل، المرجع السابق، ص 288
2. موريس أنجرس، المرجع السابق، ص40

- **الموضوعية**

تعني الموضوعية لدى البعض الحياد، وبالنسبة إلى آخرين تعني الابتعاد عن المصالح الذاتية، لكن إذا كانت الموضوعية عادة مرادفة لعدم التحيز إلى رأي أو موقف ما، فهي بصفة أخص ميزة كل ما يصف شيء أو ظاهرة بصدق، أي كل ما يمنح تمثيلا مطابقا للواقع، فالموضوعية هي إذا بمثابة مثل أعلى يستحيل بلوغه فعلا، وبالرغم من أننا نطمح إلى وصف صادق لما نشاهده أو نسمعه، إلا أن ما نراه أو نسمعه يتم وفق كياننا المتضمن للشعور والإحساس والأحكام والتجارب والمعارف بما في ذلك العقل.[1]

1. موريس أنجرس، المرجع السابق، ص39.

الفصل الثالث

المدارس المنهجية الكبرى في العلوم الاجتماعية

تمهيد

تعتبر الايدولوجيا من أهم الأفكار التي شغلت اهتمام علماء الاجتماع، خاصة عندما أرادوا أن يضعوا الأسس العلمية الأولى لعلم الاجتماع، ولقد حاول كل من **كارل مانهايم** و**جورج لوكاتش** أن يخضعا هذه الفكرة لمنهج الاتجاه العقلاني، حيث اعتبراها رأيا مطلقا، تضع نفسها في مرتبة أعلى من أراء العالم، وتؤثر فيها، وذلك لأنها ترى ــ أي الايدولوجيا ـ أنها حقيقة منطلقة من الوجود الاجتماعي، وفي محاولة كل من **مانهايم** و**لوكاتش** لإخضاع الايدولوجيا للمنهج العلمي قاما باستبدالها بعلم اجتماع المعرفة كأساس علمي يعرض عليه عالم الاجتماع أفكاره وآراءه.

لقد انطلق هذا المسلك الفكري منذ ظهرت الأفكار التنويرية على يد فرانسيس بيكون الذي قام بنقد الأفكار الخاطئة التي تعوق الفهم البشري، حيث اعتبر أن الذين والتحيز الميتافيزيقي يبقي الناس في جهالة عن الأسباب العلمية.

ولقد واصل هذا المسلك **دوركايم** حينما كان يضع أسس علم الاجتماع كعلم للحقائق الاجتماعية، فقد اعتبر الايدولوجيا إطارا فكريا متصورا سلفا أو هي تلك الأوهام التي تستعمل بدل الأفكار الحقيقية للأشياء وتقوم بتشويهها ومن هنا تنتج لنا عالما خياليا، ومن اجل أن يصبح علم الاجتماع علما يجب أن يحدد مصطلحاته تأصيلا علميا واضحا.[1]

---

1. جون سكوت، المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع، ترجمة محمد عثمان، الشركة العربية للأبحاث والنشر، بيروت لبنان، 2009، ص 69،

1. تعريف المدخل المنهجي

يعرف الدكتور **زمام نور الدين** المدخل المنهجي بقوله: إنه الطريقة المرنة لتناول البحث من منطلق نظري (اتجاه فكري أو مدرسة) بحيث يشكل خلفية فكرية للباحث، وإذا كان التعامل من هذا المنطلق يتطلب قدرا من المرونة فان عملية التبني لأي تصور تحتاج كثيرا من الصرامة والدقة والتنظيم، حتى يتوفر الباحث على الوضوح النظري الكافي ن والقدرة على رسم الخطوات المنهجية اللاحقة[1].

والمنهج أو المدخل المنهجي الذي يعمل على تحليل الظواهر الاجتماعية هو كالسبيل الذي نسلكه لبلوغ هدف في أعلى جبل أو أسفل واد ولا يدخل بحد ذاته ــــ أي كمجموعة عناصر منهجية وعمليات مقاربة ــ في تركيب المادة الاجتماعية المنوي تحليلها فهو من طبيعة مختلفة نسبيا عن طبيعة الموضوع الاجتماعي المدروس، غير انه يمكن للباحث السالك لهذا السبيل أن يبتكر فيه محطات وهمية ويخلص بعدها إلى نتائج، يعتبر انه وجدها على هذا السبيل في حين يكون قد وضعها هو لأسباب تتعلق به، وقد تكون هذه الإضافات في كلتي الحالتين إضافات أيديولوجية أي أنها تأتي بتوجيه معين يخدم مصلحة اجتماعية واقتصادية معينة، فالمناهج التي يتم ابتكارها في إطار معاهد أو مؤسسات ثقافية عليا تبقى على علاقة عضوية في الشكل والمضمون مع المؤسسة والأفراد الذين افرزوها.

وهنا يكمن البعد السوسيولوجي الذي يظهر انه ملازم بالضرورة للمنهج طالما أن المنهج يخضع لمبدأ النسبية الاجتماعية، وطالما انه عرضة للتوجيه ينبغي توجيه هذا المنهج بشكل أيديولوجي لمصلحة الفئات التي يجب أن تستفيد من نتاجه حقا[2].

---

1. نور الدين زمام، اشكالية المدخل المنهجي الإسلامي في حقل السوسيولوجيا، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد 12، نوفمبر 2007، ص137.

2. فردريك معتوق، منهجية العلوم الاجتماعية عند العرب وفي الغرب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ط 1، 1985، ص 65.

2. المدخل المنهجي الوضعي

1.2. نشأة الاتجاه الوضعي

الاتجاه الوضـعي كأي مذهب أو اتجاه فكري آخر تشـكل على مراحل، أسـهم فيها أجيال من المفكرين والعلماء والمثقفين في أرجاء العالم كافة، بدءا بعلماء المسلمين الذين نقلوا علومهم الوضـعية إلى المدن الأوروبية إبان الفتوحات الإسـلامية، وبعدها من خلال علماء الطبيعة، حيث دفعوا علماء وفلاسـفة الغرب إلى إن يدركوا امتداد هذه الفكرة الوضـعية بمبادئها وبمناهجها الرصـينة إلى المجال الاجتماعي والأخلاقي، بعد ما رأوا النتائج المهمة التي اسـتنتجوها بواسـطة العلوم الطبيعية. وزادت فكرة الوضعية ومناهجها دقة يوما بعد يوم بعد مساهمة كوكبة من العلماء الغربيين، وقد نجحت العلوم الاجتماعية في التخلص من الأفكار غير العلمية بالتدريج ولم يكن للاتجاه الوضـعي الاجتماعي أن يصـل إلى ما وصـل إليه الآن إلا بعد مسـاهمات المفكرين الاجتماعيين الأوائل، حيث وجدت النواة الأولى لفكرته ومنهجه عندهم، ولا يمكن فهم ما توصـل إليه علم الاجتماع الوضـعي إلا بعد معرفة المحاولات التاريخية التي بذلت في علمنة المجال الاجتماعي، وكذلك بعض من أولئك الذين أسـهموا في الفكر الاجتماعي ولاسـيما من رواد العلم في عصر النهضة.

انه بسـبب التغيرات التي كانت تحدث باسـتمرار في البنية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية في عصري النهضة والتنوير من جراء الاكتشافات العلمية في مجال العلوم الطبيعية، زادت آمال العامة كما زادت آمال أغلبية المفكرين في قدرة العلم

على تحقيق انتصـــارات في المجال الاجتماعي والإنســـاني أســـوة بمجال العلوم الطبيعيـة، وان كـان ترتـب من جراء تلـك التغيرات نوع من الفوضـى وعـدم الاســتقرار، بســبب انحلال بنية العقيدة الدينيةأي ســقوط ســلطة المؤســسة الدينية كانت تؤطر الحياة الاجتماعية، وانحســـار دور المؤســـســـات المســيحية ونفوذها والتي تســببت في انهيار القوة التي كانت تحافظ على القيم والعادات التي يقوم عليها التنظيم الاجتماعي للمجتمعات الغربية، ولقد صــور بعض التقدميين هذه الأجواء بأنها تمهيد ليوم مزدهر وواعد، ولكن بعض الرومانســيين من القرن الثامن عشـــر رأوا بأن هذه الأجواء ما هي إلا إخفاقات أخلاقية نتجت عن التقدم الحضاري ولمعالجتها يرون أن من الضروري العودة إلى الحالة البدائية النقية ومن هؤلاء على سبيل المثال نجد **جان جاك روسو**. [1]

هذه الأفكار وصـلت إلى **أوجســت كونت** من خلال قراءته لمفكري عصـر النهضـة والتنوير وعلمائه، والوضعية كانت عند هؤلاء قد حققت شـوطا كبيرا في تفسيرها لعدد من الموضـوعات المتعلقة بالإنســان والمجتمع، كما نرى ذلك عند **ســان ســيمون**، لكن **كونت** رتب هذه الأفكار مرة أخرى وكان الاتجاه الســائد آن ذاك الاتجاه الرافض للتفســير اللاهوتي والميتافيزيقي وكان يمثله فلاســفة فرنســا من الموســوعيين والتقدميين الذين كانوا يناهضــون الفكر الديني وســلطة رجال الكنيســة التســلطي، وينادون باســتعمال العقل في تفســير الظواهر الاجتماعية

1. ئـاكو قـادر حمـه، الأخلاق والمنهج العلمي بين الاتجـاه الوضـعي والاتجـاه النقـدي في علم الاجتماع، رسالة ماجستير، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة حلوان، 2014، ص 163 .164

وفلاسـفة اسـكتلندا وانجلترا، لكن لم يكن هذا الاتجاه الفكري الوحيد المسـيطر على ذهن **أوجست كونت** بل تأثر أيضا بالاتجاه الرافض لإفرازات الثورة العلمية والفكرية والسـياسـية من دعاة العودة إلى التفكير اللاهوتي، وكان هذا الاتجاه يمثله فلاسـفة اجتماعيون مسـيحيون أمثال **جوزيف دي مستر1753** 1821 **ولويس دي بونالد 1754 1840** إلا أن تأثر **كونت** كان بالاتجاه الأول دفعه إلى تأسـيس فلسـفة مبنية على قناعة مفادها إن العلم هو المصـدر الوحيد الموثوق للمعرفة وان مصـدر المعرفة يأتي من الحواس، وتأثره بالاتجاه الثاني دفعه إلى التفكير في مسـألة إعادة المجتمع ومن خلاله أنشا علما وضعيا سـادسا هو علم الاجتماع، وكان ينتابه الروع نفسـه الذي انتاب **جوزيف دي مستر** بسـبب الآثار الهدامة للثورة الفرنسـية، كما روعته الفوضـى التي تربت على هدم الجماعات الاجتماعية الوسـيطة بين الأسـرة والدولة بالقوة، ولذلك كان إصـلاح المجتمع هو الشـغل الشـاغل لكونت منذ البداية وكان ذلك هو الهدف الرئيس في حياته، وقد التزم به، حيث أدرك بأن لا سبيل للإصلاح إلا من خلال علم يهتم بمعرفة القوانين التي تدير الحركة والنظام الاجتماعي.[1]

ولهذا الغرض قسم أو جست كونت علم الاجتماع إلى قسمين:

الديناميك سـوسـيال: حيث درس فيه قوانين الحركة الاجتماعية وكشـف عن مدى التقدم الذي تخطوه الإنسانية في تطورها حاصرا بحثه في نظريتين:

قانون الأطوار الثلاثة: وفيه يشـير إلى أن العقل الإنسـاني قد انتقل في إدراكه لكل فرع من فروع المعرفة من الطور الديني إلى الطور الميتافيزيقي وأخيـرا إلى الطور

---

1. ئاكو قادر حمه، مرجع سابق، ص 191.

العلمي، ويشبه المرحلة الأولى بمرحلة الطفولة، والمرحلة الثانية بالمراهقة والشباب والمرحلة الأخيرة العلمية الوضعية التي استقرت عليها الإنسانية بمرحلة الاكتمال والرجولة.

نظرية التقدم الإنساني: ينظر كونت إلى أن التقدم الإنساني لا يبلغ غايته إلا بعد المرور بالأطوار الثلاثة، وبالتوافق والمصاحبة مع التقدم المادي والعقلي والمعنوي المؤثر على الطبيعة الإنسانية، وبرأيه أن تقدم القواعد الصحية، أدى في النتيجة إلى زيادة عمر الإنسان، كما أدى التقدم العقلي إلى السيطرة على الطبيعة، وبتقدم هذين الشرطين في حياة الإنسان، يرقى هذا الكائن العاقل سلم السعادة الإنسانية بمعايير عقلية وأخلاقية وجمالية لا تستغني الحياة الاجتماعية عنها في أي حال.

الستاتيك سوسيال: يدرس فيه كونت الثوابت الاجتماعية التي تلح وتؤكد على اعتبار الفرد والعائلة والدولة، هي العناصر الأساسية لتكون المجتمع، ويلاحظ كونت أن الفرد لا قيمة له إلا بوجوده وتعاونه مع الآخرين، من هنا كانت الأسرة من أهم الوحدات الاجتماعية في المجتمع الذي تصوره وحدة حية معقدة ومن أهم سمات هذا المجتمع أن يشمل التعاون والتضامن بين جميع أبنائه، غير أن كونت يؤكد أن هذا التعاون لا يتحقق إلا إذا تم إصلاح النظم الاجتماعية الثلاث: نظام التربية ونظام الأسرة والنظام السياسي [1].

---

2. قصي الحسين: السوسيولوجي والأدب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1993، ص29 .

1.1.2. علم الوجود

على الرغم من أن جوانب الفلسفة الوضعية تعمل من خلال تنوع المداخل إلا أن معظم المتشددين الوضعيين في علم الاجتماع من المنظرين الذين رأوا بوجود هوية وجودية بين الطبيعة والمجتمع يعني أن لهما نفس سبب الوجود وان تشكلهما من حيث التركيبة البنيوية متشابه إلى حد كبير ويمكن أن تطبق عليهما نفس القواعد المنهجية ومنظري نظرية الاتفاق، ومما سبق نجد انه على الرغم من أن الكائن البشري له نظرياته الخاصة حول عوالمه المختلفة والتي تمارس من خلال الوعي وهذه الكيانات غير الأمبريقية إلا أننا يمكن لنا أن نتجاهلها لصالح النظريات الملاحظة للقوى البنائية التي تعمل على دراسة الإنسان دراسة أمبريقية تطبق فيها قواعد المنهج التجريبي نفسها التي نطبقها على الظواهر الطبيعية والتي بدورها تنتج المعتقد والسلوك.

وذلك تماما مثل الظاهرة التي بدورها تشكل طبيعة العالم ولكنها لا تختار كيف تكون ولا حتى حسب تفسيرات منظري الاتفاق، فان فعل الاختيارات، والتفسيرات، وأفكار الكائنات البشرية تتم وفقا لما يتراءى لهم للكشف عن طبيعة حياتهم الاجتماعية، وبالنسبة لنظرية الاتفاق لا نختار أن نصدق أو نؤمن بالأشياء وإنما نقوم بما نقوم به ونتعلم كيف نمارس هذا الشيء وكيف نتعلمه وتبقى أحكام ومحددات الثقافة هي التي تحدد أفكارنا وسلوكنا من خلال عملية التنشئة الاجتماعية ولهذا فانه بنفس الطريقة تكون الظاهرة الطبيعية هي نتائج قوانين الطبيعة وكذلك أفكار البشر وأفعالهم تتكون من خلال قوى خارجية واجتماعية هي التي تشكل الأبنية الاجتماعية وبسبب هذه التشابهات الوجودية

بين الطبيعة والمجتمع فان منظري الاتفاق يرون أن التفسير يجب أن يكون متشابها أيضا. [1]

2. 1. 2علم المعرفة Epistémologie

هنا نجد الحاجة ملحة للإثبات أن التجريبية هي مفتاح التأكيد العلمي الاجتماعي كما هو الحال في العلوم الطبيعية، وبالنسبة لعلماء الاجتماع الوضعيين فان الأصل هو الدلائل الأمبريقية للحقائق الاجتماعية في حياة الشعوب، وكما سماه **دوركايم** هو حصر كل ما هو معتاد من السلوك والمعتقدات، وبما أن السلوك والمعتقد يحددان من قبل قوى بنائية خارجية يجب علينا جمع الدلائل من خلال عدد المرات التي يقوم بها الإنسان بالأعمال وسلوكيات معينة في مسألة ما، أو كيف يفكر في أشياء ما وما لدينا بعد ذلك هو الإحصاء الذي يساعدنا في تفسير القوى التي تنتج لنا المعتقدات والسلوكيات. [2]

2. 2. بعض القواعد المنهجية العامة Méthodologie

أ ـــ ترى الوظيفية في العلم الطبيعي، خاصة علم الحياة، مثلا أعلى، ويفصح هذا عن نفسه من مفهومات النظرية ـــ البناء والوظيفة ـــ ومماثلتها للمجتمع بالكائن العضوي، ومسائل التوازن والتغير الاجتماعي وما إليها.

ب ـــ تركز الوظيفية، باتجاهاتها الفرعية على تفسير وظيفي متعدد المتغيرات فهي تفسر أي شيء في النسق الاجتماعي بكل شيء في هذا النسق، حتى يخيل للمرء أنها تقف عند حد التصنيف والتحليل، ولا تميز إلا ضمنيا بين متغيرات مستقلة

---

1. فليب جونز، مرجع سابق، ص 216.

2. نفس المرجع، ص ص 216 217

وأخرى تابعة، والأمر الملفت للنظر أنه رغم كليتها في تصــور المجتمع فهي تعود لتحصر نفسها في موضوعات جزئية، وانساق فرعية تبدو منعزلة. ولهذا يسهل للمحلل لها أن يجد انفصــالا واضـحا بين مفهوماتها وقضــاياها، وبين بحوثها ونتائجها الموغلة في التجزيء، فثمة وظائف واضــحة وأخرى كامنة، وثالثة معوقة ورابعة ميسرة وما إلى ذلك من تفتيت للكل المزعوم.

ج - ومع أن تصــوراتها ومفهوماتها بنائية وكلية فهي تبدأ بالثقافة وتعدها الوعاء الأساسي للتفسير مرورا منها إلى الشخصية الفردية ثم التنظيم الاجتماعي [1].

د - يجب أن تقاس الحياة الاجتماعية وتحســب إحصــائيا لكي يتمكن العلم الاجتماعي من أن يقدم ما تقدمه العلوم الطبيعية عندما تسـتخدم منهج الاستدلال (الاستنباط) الفرضي والفرضية يمكن اختبارها مقابل الأدلة الأمبريقية وعلى أية حال فان الاجتماعيين الوضعيين يفضلون استخدام ثلاثة أدوات بحثية خاصــة عند التوصــل لهذه الأدلة وهي التجربة والملاحظة وأكثرها اســتخداما المسوح.[2]

---

1. عبد الباسط عبد المعطي، نظريات علم الاجتماع، عالم المعرفة، الكويت، 1981، ص 116.
2. فليب جونز، مرجع سابق، ص 217.

3.2. المناهج في علم الاجتماع الوضعي (Méthodes in Positiviste Sociologie)

1.3.2 التجربة Experiment

توجد مشكلات واضحة فيما يتعلق باختبار الفروض الاجتماعية من خلال المنهج التجريبي:

أ- لو أن الأفراد يعلمون أنهم يخضعون للتجربة فربما يغيرون سلوكهم طالما هم ملاحظون.

ب - لو أنهم تجاهلوا أنهم يخضعون للتجريب فهم قد تتغير سلوكياتهم وفي هذه الحالة قد تحدث مشكلات أخلاقية متعلقة بما يصلح للتجربة من عدمه.

ج -التجربة يمكن فقط إن تعنى بمستوى بسيط جدا من التفاعل.

وبالتالي معظم علماء الاجتماع القائمين بالبحث لا يمكنهم تجنب هذه المشكلات وعلماء الاجتماع لو أنهم مهتمون بالسلوك الأسري أو بالانجاز في التعليم أو بالسلوك في مجال العمل وهكذا، فسوف تظل هناك نقاط فارقة مثل ضرورة اقتلاع أفراد من الأسرة أو أطفال المدارس أو بعض العاملين من أماكنهم الطبيعية الاجتماعية لملاحظتهم وإخضاعهم لظروف التجريب وللتوصل إلى دلائل امبريقية لسلوكهم.

ومن الواضح أنهم سوف يمارسون سلوكهم الذي نهتم به ونركز عليه في كل ما هو محيط بهم في الأسرة والمدرسة أو في مجال العمل وذلك بهدف كسب كل الأدلة

المؤثرة على البناء الاجتماعي عبر الحياة الاجتماعية اليومية، وتفاديا لهذه المشاكل يستخدم علماء الاجتماع الوضعيين الملاحظة كتكتيك خاص لجمع البيانات [1].

2. 3. 2. الملاحظة Observation

وفي بعض مجالات مناهج البحث يوجد ميل لافتراض مؤداه أن استخدام تقنية الملاحظة يقتصر فقط على العلماء الذين يعملون في مجال العلوم الاجتماعية، حيث أنهم يلاحظون سلوكا معينا ويبحثون عن إجابة لهذا السلوك ومعنى وتفسير عبر الحياة الاجتماعية - ولكن على أية حال - هناك حد معين نحدده لعملية الملاحظة حيث أنها لا بد أن تقتصر على عدد محدود ممن يمكن مشاهدته للوصول إلى دلائل هامة وذات معنى ودلائل لإمكانية الحكم على الفرضية التي يتم اختبارها.

وبالنسبة للملاحظة بخصوص أغراض وضعية فإنها تستخدم فقط من قبل الانثربولوجيين حيث أنهم يميلون للوظيفية وأرائها [2].

أ) مشكلات الملاحظة لأغراض الوضعية

بالنسبة للباحثين الوضعيين فان المشكلة هي كيفية الالتزام بالموضوعية بعيدا عن لب الموضوع أو القضية، ولهذا فان حقيقة القوى الاجتماعية يمكن تقبلها، والملاحظة ليست قاصرة على جعل الباحث ينظر للواقع على انه مجرد فعل ولكنها تتطلب إضافات الباحث كخبير ولهذا فان الملاحظ الوضعي عليه اتخاذ قرارين هما:

---

1. فليب جونز، مرجع سابق، ص 218.
2. نفس المرجع، ص 218.

أ - انه إذا ما كانت المخاطرة بالموضـــوعية عبر المشـــاركة في معيشـــة الفاعلين فانه يجب وضع حدود لهذه المشاركة.

ب - فإذا كانت المشـــاركة ســـتؤثر على ســـلوك الفاعلين فانه يقرر الملاحظة إما أن يبلغهم بذلك أو يخفي حقيقة وسبب وجوده معهم.

وثمة أربعة بدائل متاحة في هذا السياق وهي:

أ ـ استخدام الملاحظة الخفية أو عدم المشاركة على الإطلاق.

ب ـ المشاركة من خلال الملاحظة الخفية.

ج ـ عدم المشاركة ولكن مع استخدام الملاحظة الخفية.

د ـ المشاركة من خلال الملاحظة المعلنة[1].

ولكل من هذه البدائل مشاكله الخاصة [2]

3.3.2. المسح Survey

في اغلب الأحيان تتم المســـوح من خلال طرح الأســـئلة بدلا من ملاحظة الأفراد بشكل مباشر، فالمسح يطلب من المبحوثين الإجابة على الأسئلة المتعلقة بحياتهم أو في بعض جوانبها، وتكمن الفكرة في جمع كافة البيانات ثم تحويلها إلى أرقام عبر الإحصاء، ثم تحليل الإجابة للوصول إلى أية دلالات أو لاستخلاص العلاقات الحرة بين المتغيرات، وهـذا مـا يطلق عليـه التحليـل المتنوع أو المتعـدد Multi Variât Analysis[3]، ونتيجة لهذا التحليل المتعدد في علم الاجتماع الوضـــعي فانه يأخذ

---

1. فليب جونز، مرجع سابق، ص 219.
2. للاستزادة انظر كتاب النظرية الاجتماعية والممارسة البحثية لفليب جونز.
3. نفس المرجع، ص 220

نفس شكل النتائج في البحوث العلمية عبر الجداول والرسوم البيانية والأشكال البيانية المجسمة والمعبرة عن العلاقة بين المتغيرات وفي بعض الأحيان فان الدلائل التي نرغب في التوصل إليها بهدف اختبار الفروض تحدد من قبل معاملات إحصائية محددة. [1]

واليك جدولا يبين مدى مقارنة الوضعية في علم الاجتماع بالوضعية في العلم ككل: [2]

---

1. فليب جونز، مرجع سابق،، ص 221.
2. نفس المرجع، ص 243.

مجال المقارنة	الوضعية في العلم	الوضعية في علم الاجتماع (الامبريقيون)	ضد الوضعية في علم الاجتماع (التفسيريون)
الوجودية ontologie	طبيعة الموضوع حقيقة معطاة وتكون الظواهر من علاقات سببية غير متغيرة	المجتمع موضوعي، الحقيقة معطاة وان وجود البناء الاجتماعي يظهر في الفاعلين والأفكار والأفعال	المجتمع يتكون من أعضائه، والواقعية الاجتماعية تتشكل من فرض التفاعل الفردي المصاحبة للفاعلين بحيث تتضمن القدرة على التفاعل ـ الفعل ذو المعنى
الابستمولوجي épistémologie	المعرفة بقوانين الطبيعة ممكن فقط من خلال جمع البراهين الظاهرة لوجودها من خلال جمع الدليل الأمبريقي (تكميم مدى العلاقات)	معرفة تأثير القوى البنائية في حياة الفاعلين ممكن من خلال جمع الدليل الأمبريقي لقواعد الفكر وأنماط السلوك والصدق في نظريات الملاحظة من خلال الدليل الإحصائي والكمي لمدى الفكر وأنماط السلوك	المعرفة التفسيرية ومعنى الفعل ممكنة فقط من خلال اكتساب فهم أساليب الفاعلين في رؤية العالم واكتساب فهم المعنى للفاعلين أو فهم نظريات الفعل من خلال اكتساب الدليل الكيفي
المنهج Méthode	استنتاج الفروض ومحاولة دحضها امبريقيا من خلال المنهج الافتراضي الاستنباطي النظرية ← الفروض ← الاختبار ← النتائج ← النظرية التجريب تحت الظروف المضبوطة لكي يقيس أي مدى من العلاقات السببية بين المتغيرات	استنتاج الفروض ومحاولة دحضها امبريقيا من خلال المنهج الافتراضي الاستنباطي النظرية ← الفروض ← الاختبار ← النتائج ← النظرية 1ـ التجربة لها صعوبات عملية وإشكاليات أخلاقية. 2ـ الملاحظة في الانثربولوجيا ـ بدون مشاركة أو بالمشاركة بأدوار خفية أو معلنة 3ـ المشكلات: نطاق محدود ـ مجال صغير ـ حدود على النتائج الموضعية ـ تأثير الملاحظ ـ التعاطف مع الموضوعات ـ الصدق الداخلي (الصورة الكلية) الصدق الخارجي (تمثيل دراسة الحالة) ـ المسح أنماط الأسئلة ـ اختيار المبحوثين (العينة) ـ تأثير القائم بالمقابلة ـ التحليل متعدد المتغيرات	استخدام الفهم، فالباحث يجعل استخدام الحقيقة مثل الفاعلين الذين يهتمون بالموضوع هو الفاعل الاجتماعي المسير الذي يستطيع التفسير، والوعي الذاتي بالتفاعل الاجتماعي البحث التفاعلي الرمزي (استخدام الفهم كأسلوب للتفاعل اليومي للفهم والشرح أ ـ الحديث مثل المقابلة ب ـ الملاحظة بالمشاركة ج ـ البحث الاثنوميثودولوجي استخدام الوصف لما يستخدمه الناس من أساليب للتفاعل فهم كل واحد للأخر لخلق النظام الاجتماعي مثل تجربة **جارفينكل** والملاحظة الاثنوجرافية وتحليل المحادثة

3. المدخل المنهجي البنائي الوظيفي

1.3. مفهوم الوظيفية

تعود جذور الوظيفية إلى الفكر الوضــعي، ذلك الفكر الذي يؤرخ له مع بدايات القرن التاسع عشر، حين كانت النزعة الوضعية في مهدها تؤيد العلم وتقف موقفا معارضا من الأفكار اللاهوتية والميتافيزيقية، وإذا كانت الوضعية وفق هذا المعنى، فإنها بمعنى آخر يشار إليها بأنها تؤيد المنطق التجريبي الذي يسعى إلى الوصول إلى القوانين التي تخضع لها الوقائع والظواهر الاجتماعية، وينكر وجود معرفة نهائية، وإذا كان ذلك كذلك فان ظهورها يعود إلى ما بعد أحداث الثورة الفرنســية، تلك التي كانت نتيجة لمجموعة من التداعيات الاجتماعية هي:

أو لا: حدوث التناقضات الاجتماعية الطبقية بين طبقة النبلاء الجديدة والطبقة الوسطى، نتيجة عدم إشباع الأخيرة، ووجود خارطة اجتماعية جديدة.

ثانيا: تكريس الكنيســة لســلطة النبلاء والعمل على اســتمرارية ظلم المجتمعات الأوروبية، وعدم السماح للتيار العلمي بأخذ مكان الصدارة.

ثالثا: تنامي نظرية المنفعة في الاقتصاد والسـياسـة في انجلترا، تلك التي تدعوا إلى إشباع الحاجات الفردية ومن ثم تشجيع المنافسة الحرة. [1]

وبالتالي يعتبر الاتجاه الوضعي من الاتجاهات المعرفية الكلاسيكية في نظرية علم الاجتماع وقد ظهر كحوصلة لتطور الفلســفة الوضــعية التي دعت إلى تخليص

---

1. شحاتة صيام، النظرية الاجتماعية من المرحلة الكلاسيكية إلى ما بعد الحداثة، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009، ص45.

الفكر الإنساني من الأبعاد الميتافيزيقية الدينية، وتحرير الإنسان منها، استخدم هذا النموذج جملة من المقولات النظرية والمنهجية لدراسة المجتمع الصناعي الغربي والتغيرات الاجتماعية التي طرأت على البنى الاجتماعية هذه المجتمعات، ويمكن أن نوجز الخصائص التي تميز بها النموذج بما يلي:

1 ـــ تأثر هذا النموذج بالنزعات العقلية والطبيعية التي سادت الفكر الفلسفي في القرن التاسع عشر في أو ربا، وخاصة الدعوات الإصلاحية الاجتماعية كما طرحتها الاتجاهات السياسية التي أعقبت الثورة الفرنسية 1789 م.

2-خلفت الثورة الفرنسية شرخا في النظام الاجتماعي مما دعا المفكرين إلى ضرورة التفكير في كيفية تجاوز الفوضى الاجتماعية مع التأكيد على تجاوز الفكر اللاهوتي الكنسي في حل هذه الأزمة والبحث عن بديل جديد أطلقت عليه علم الاجتماع.

3- تأثير النزعة العضوية على أنصار هذا الاتجاه مما دفع بهم إلى تبني المنهج الوضعي في دراسة المجتمع والظواهر الاجتماعية، وهو يتجلى في أعمال **أوجست كونت** صاحب قانون المراحل الثلاثة، **وإميل دوركايم** صاحب فكرة شيئية الظاهرة الاجتماعية.

5ـــ فرضت العلوم الطبيعية منطقها على العلوم الإنسانية والاجتماعية في القرن التاسع عشر، فلم يجد أنصار هذا الاتجاه حرج في اقتباس المفاهيم البيولوجية وإجراء المماثلة بين المجتمع والكائنات العضوية، واستعاروا مقولة التطور، ومقولتي النشوء والارتقاء الدارونية وغيرها، والتي ستكون أكثر وضوحا في الاتجاه الوظيفي الذي ما هو إلا امتداد للاتجاه العضوي.

5-قسـم أنصـار النموذج العضـوي المجتمع إلى بناء ميكانيكي وآخر معياري، واعتبروا المجتمع كل متكامل يؤدي فيه كل فرد دوره الاجتماعي، والمجتمع من وجهة نظرهم هو جزء لا ينفصل عن النظام الطبيعي.

6- تاريخيا يمكن أن نميـز داخل هذا النموذج بين اتجاهين، عضوي تقليدي مثله الرعيل الأول من علماء الاجتماع الأوروبيين أمثال **سـبنسـر ودوركايم**، ومحدث يمثله مجموعة من علماء الاجتماع الأمريكيين طوروا الاتجاه التقليدي وأعطوا دفعا كبيـر العلم الاجتماع كتخصـص معرفي يلبي احتياجات متعلقة بالمجتمع الأمريكي أمثال **بارسـونز وميرتون**، حيث لا تزال آراؤهم الى اليوم تثري النقاش في النظرية الاجتماعية الغربية.

2.3. مصطلحات المدخل المنهجي البنائي الوظيفي

أ) الوظيفية الاجتماعية Social Function

ويرتكز هذا الاتجاه على مصـطلح **الوظيفية الاجتماعية Social Function** ويقصـد بهاذلك الدور الذي يسـهم به الجزء في الكل، هذا هو الجزء المتفق عليه تقريبا بين أنصار هذا الاتجاه، وفي غير ذلك يوجد قدر من عدم الوضوح، **فباريتو** أحد رواد هذا الاتجاه يسـتخدم الوظيفة بمعنى المنفعة ويسـتخدم المنفعة هنا مرتين: مرة على أنها إضـافة أو إسـهام تقوم به ظاهرة بعينها لتأكيد هدف بعينه وإنجازه، ومرة بوصـفها إشـباعا حقيقيا أو مفترضـا بقصـد توكيد الحالة الراهنة للنسق الاجتماعي والمحافظة عليه. [1]

1. عبد الباسط عبد المعطي، مرجع سابق، ص 104.

ب) المماثلة العضوية

يعد التقليد الخاص بتشبيه المجتمع بالكائن الحي تقليدا قديما في الفكر الاجتماعي، فقد تحدث **أفلاطون** عن وجود ثلاث عناصر أساسية للكائن العضوي وهي المخ والقلب والمعدة، ويقابلها ثلاث طبقات اجتماعية داخل المجتمع هي طبقة الحكم والجند والشعب المنتج، كذلك فقد ذهب **الفارابي** في كتاب عن أراء المدينة الفاضلة إلى أن المدينة الفاضلة تشبه الجسد الصحيح الذي تتعاون أعضاؤه كلها في سبيل المحافظة على حياته.

كذلك فقد ظهرت فكرة المماثلة بين المجتمع والكائن العضوي في الفكر الاجتماعي الأوروبي السابق واللاحق على كونت فقد استخدمها **هربرت سبنسر** في انجلترا **ودوركايم** في فرنسا.

واستطاعت هذه الفكرة أن تمارس أثرا واضحا على رواد الفكر الانثربولوجي في بريطانيا مثل **راد كليف براون ومالينوفسكي** ويضاف إلى أن تلك الفكرة كان لها دور في تشكيل الاتجاه الوظيفي في الولايات المتحدة الأمريكية خاصة عند أتباع **تالكوت بارسونز**[1].

ج) المحافظة على النظام

من خلال تصوره للتاريخ وعبر إنشاء علم الاجتماع، ناقض" **كونت** "أفكار الفلاسفة التنويريين الفرنسيين، أي من خلال علم يهتم بقوانين النظام الاجتماعيّ وبتطوره المطرد، ويتهمه معارضوه بأنه أستبدل فكرة التطور بفكرة النظام، ويرى

1. نبيل محمد توفيق السمالوطي، الايديولوجيا وقضايا علم الاجتماع النظرية والمنهجية والتطبيقية، دار المطبوعات الجديدة، الاسكندرية، 1989، ص ص 69 70.

"**هربرت ماركوز** "أحد أقطاب علم الاجتماع النقدي، بأن حلول الملاحظة محل التأمل في علم الاجتماع عند "**كونت**" يعني تأكيد النظام بدلًا من أية محاولة للخروج عليه، ويعني سلطة القوانين الطبيعيّة بدلًا من الفعل الحر، وفكرة النظام أساسيّة في مذهب" **كونت**"، وقانون الحالات الثلاث أتاحت"**كونت** "أن يتخذ مظهرا لمحارب الشجاع ضد النظام القديم في حين كان النظام القديم قد انهار منذ زمن بعيد، أي أنما بقي له هو الدفاع عن النظام الجديد الذي حمل حلا للنظام القديم.

ويرى" **ماركوز**"أن علم الاجتماع عند" **كونت** "هو في أساسه دراسةسكونية للمجتمع، وذلك؛ بسبب سيادة تصور النظام عليه، لكنه أيضًا دراسة لديناميكية المجتمع بفضل وجود تصور التقدم؛ إذ شرح" **كونت** "تصوره للعلاقة بين الجانبين، ورأى أن النظام هو الشرط الأساسيّ للتقدم وكل تقدم يتجه في نهاية الأمر إلى دعم النظام، والفلسفة الوضعيّة تهدف إلى التوفيق بين النظام والتقدم وتحقيق الإشباع المشترك للحاجة إلى النظام والتقدم معًا، وهي تستطيع أن تقنع بذلك بأن تبين أن التقدم هو ذاته نظام، وهذا يعني أن التقدم ليس ثورة بل هو تطور[1].

3.3. البنائية الوظيفية عند بارسونز

بعد الماركسية والمادية التاريخية لا تجد نظرية نالت شهرة واسعة ورواجا كبيرا، ليس في موطنها الأصلي فحسب، بل امتدت إلى باقي الدول كما حظيت به البنائية الوظيفية كما نظر إليها **بارسونز** وأتباعه، فقد هيمن **تالكوت بارسونز** على

1. ئاكو قادر حمه، مرجع سابق، ص 196.

النظرية المكتوبة باللغة الانجليزية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلى أواسط الستينيات، ولقد أنتج إطارا نظريا ضخما يدعي من حيث المبدأ قدرته على الإحاطة بكل جوانب الحياة السوسيولوجية، وقد وضعت أسس هذه النظرية خلال الأزمة الاقتصادية في ثلاثينيات القرن الماضي، ويرى ألفن **جولدنز** أن نظرية **بارسونز** قد تطورت في حقيقة الأمر ردا على تحديات الماركسية، فإن الماركسية نظرية عامة المجتمع تدين الرأسمالية فقد غدت الوظيفية البنائية نظرية عامة عن المجتمع لا تبرر الرأسمالية بقدر ما تقدم تفسيرا وفهما لمصاعب الرأسمالية دون أن تدينها، إلا أن هذه النظرية قد عرفت مجموعة من المصاعب هي نفسها تلك المصاعب التي عرفتها الرأسمالية الأمر الذي جعل هذه النظرية تتراجع حتى تصبح في عشر سنوات فقط أثرا من آثار التاريخ لولا تحمس بعض الوظيفيين الجدد لها بعد وفاة **بارسونز** عام 1979. [1]

ولقد حاول **تالكوت بارسونز**[2]أن يجمع كل ما كتب في النظرية ليرد به على الماركسية المناوئة للرأسمالية في ذلك الوقت، فإن كتابه بناء الفعل الاجتماعي عبارة عن نقد لنظريات **باريتو، مارشال، فيبر، ودوركايم**، إلا انه ورغم اختلاف

---

1. أيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز الى هابرماس، ترجمة محمد حسين غلوم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1999.

2 .تالكوت بارسونز الذي ولد في سنة 1902 بكولورادو من عائلة محافظة تدين البروتستانتية والذي كان أبوه راهبا في الكنيسة، بدأ حياته كعالم بيولوجي ثم درس علم الاقتصاد على يد مارشال ودرس الانثربولوجيا على مالينوفسكي بلندن، ثم اطلع على فكر كل من دوركايم وفيبر وباريتوا في علم الاجتماع، تحصل على شهادة الدكتوراه في جامعة هايدبيرج الألمانية ثم عاد إلى أمريكا ليعمل في كلية امهريست في جامعة هارفارد ثم انضم الى قسم علم الاجتماع في هذه الجامعة، وفي سنة 1937 نشر كتابه بناء الفعل الاجتماعي الذي حمل طموحه الثقافي والعلمي.

نظرياتهم إلا أنهم انطلقوا من نقطة وأحدة وهي الفعل الاجتماعي الطوعي أو الاختياري، وبهذا هدف الأنموذج البنائي الثقافي الذي تبني ارث المداخل القائمة على الفهم وصــولا إلى إقامة منظور أكثر شــمولية وأكثر موضــوعية فالفكرة المفتاحية هي النســق الاجتماعي التي تعبر عن موقف شــمولي كلي في مواجهة الظواهر الاجتماعية بالفعل لا يمكن فهم أي عنصــر ســلوك أو فعل أو عملية اجتماعية إلا بصفته عنصرا أو فردا من نسق أو سع.[1]

وبهذا يكون **بارســونز** قد جمع بين التيارات المختلفة في الفكر الاجتماعي فقد جمع بين النظريات الكلية والفردية المتعلقة بالفعل الاجتماعي التي ارتبطت بكل من **دوركايم وماكس فيبــر** حيث أن **فيبــر** يهتم بفكرة الأفعال التي هي وسائل تحقيق غايات عملية أو قيمية منطلقا من المعاني التي يعطيها الأفراد لهذه الأفعال أما **دوركايم** فينطلق من المعاني التي يعطيها المجتمع لهذه الأفعال.

4.3. السياقات المؤطرة للبنائية الوظيفية

1.4.3. السياق الاجتماعي الثقافي

الوظيفية والتيار الثقافوي: لا تقتصــر البنائية الوظيفية على المدرســة الأمريكية في علم الاجتماع بل كان تطورها ببســاطة مرتبطا بالانتصــار الأكاديمي لعلم الاجتماع الأكاديمي في الولايات المتخذة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية على يد رواد مثل **ستريم سوركين**، **تالكوت بارسونز**، **روبرت ميرتون**، ولقد كان التيار الوظيفي مركزا على المنفعة والحاجة المســتقاة من الوظيفية المســتوردة من

1. دبلة عبد العالي، مدخل إلى التحليل الســوســيولوجي، دار الخلدونية، الجزائر، 2011، ص ص9- 10.

الانثربولوجيا الاجتماعية، مستفيدا من الدراسات الاثنولوجية على المجتمعات التقليدية التي ساعدت على تصور المجتمع ككيان كلي وتفسير مساهمة الجزء في تحقيق الانسجام والبقاء للكل.

وفي تطبيق هذه النظرة على المجتمعات الحديثة يتولد لدينا تيار ثقافوي متصلب يفترض أن الإنسان على درجة عالية من التطبيع الاجتماعي في مجتمع يتسم بأقصى درجات القهر " وهذا هو المنطلق الذي انطلق منه النقديون في ردهم على الوظيفيين وهم الأولى بالنقد من الأوائل. [1]

الوظيفية متوسطة المدى: اقترح عالم الاجتماع الأمريكي **روبرت ميرتون** نوعا أكثر مرونة من الوظيفية وجمع فيه للبحث عن وظيفية متوسطة بين نماذج وظيفية كلية ونماذج وظيفية ذاتية. حيث تعتبر أن الآثار الايجابية للعنصر وظيفة، أما الآثار السلبية للعنصر فهي تعتبر اختلالا.

كما يميز بين نوعين من الوظائف:

الوظائف الظاهرة: المعروفة لدى الفاعلين

الوظائف الكامنة: غير مفكر فيها / وهنا يقترب من الدافعية.

مسلمة التعادل الوظيفي: تعدد الوظائف للعنصر الوأحد مما يفقد الوظيفة طابعها المحدد.

النظرية العامة للأنساق: وتكمن في طريقة تقديم وصف لطريقة الانتقال العام لنسق محدد في بنائه وفي عناصره وفي عملية تحوله بألفاظ عالمية عامة، وذلك أن

---

1. جاك هارمان، خطابات علم الاجتماع في النظرية الاجتماعية، ترجمة العياشي عنصر، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، 2010، ص 80.

نقائص الطريقة الميكانيكية قد تم تجاوزها من قبل الطريقة النسـقية، فالمجتمع يتكون من مجموعة من الأنسـاق الفرعية المتداخلة، أفراد، ادوار، جماعات، مؤسسـات، تنظيمات وهي في تفاعل مسـتمر [1]، ويتعلق الأمر بالنسـبة بارسـونز بضـرورة تحديد الشـروط الأولية لكل نسـق، وفي هذا البحث حاول بارسـونز أن يجيب عن أسـئلة علم الاجتماع الجوهرية: في أي شـروط يكون المجتمع ممكنا؟ ما هي أسـس الفعل الاجتماعي؟ كيف يمكن الجمع بين الفعل الفردي والنظام الاجتماعي؟ واستعان للإجابة عن هذه التساؤلات بكل ما استقاه من علماء أوروبا، وفي بداية الأمر رفض الطريقة السـوسـيومنوغرافية[2]، التراكمية، بل يجب أن ينطلق من تساؤلات وإطار نظري.

وبدأ في بحثه هذا من جواب للمسألة الهوبزية وكان أمامه حلان:

الليفيتاين والتي تنطلق من أن الإنسـان ذئب لأخيه الإنسـان ومن الصـعب أن نجمع بين الناس في مجتمع وأحد والتالي لا بد لنا من قوة قاهرة تردع الناس بعضهم عن بعض ووضع لنا حل تمثل في: حل **هوبز** السلطة القوية الدولة.

العقد الاجتماعي: **جون لوك** المصـالح المشـتركة، وتعني انه عليك أن تقوم بواجباتك كي أؤمن لك إنا حقوقك وهي مسـألة مبنية على تبادل المنافع وتوقعات السلوك.

---

1. جاك هارمان، مرجع سابق، ص 82.

2. السـوسـيومنوغرافيا تعني تجميع الصـور والوثائق للظاهرة الاجتماعية وتحليلها بطريقة تعبيرية (المؤلف).

إلا أن **بارسونز** رفض الفكرتين وقال بان الفعل الاجتماعي تحدده أيضا القيم والمعايير: **فيبر**، **دوركايم**، **باريتو**، وهو أعلى من المصالح المشتركة (الاقتصاد) والأخلاق (الدين) والقوانين (السياسة). " الفاعلين الاجتماعيين يتصرفون من خلال معايير وقيم المجتمع، وهكذا يبدو كيف أن علم الاجتماع يستطيع ان يحل بطريقته الخاصة مسألة النظام الاجتماعي ". [1]

فلكي يكون المجتمع مستقرا ويستمر في الوجود يجب أن يستجيب لعدة وظائف:

* **التكيف**A مع المحيط الذي يضمن بقاء المجتمع.
* **متابعة الأهداف**G لان أي نسق لا يعمل إلا إذا كان موجها نحو هدف.
* **التكامل**I بين أعضاء المجتمع.
* **الحفاظ على النمط**L والمعايير.

وحسب **بارسونز** فان هذه الوظائف تتطابق مع انساق فرعية على الشكل التالي:

النسق الفرعي الاقتصادي يتطابق مع التكيف.

النسق الفرعي السياسي يتطابق مع تحديد النظام.

النسق الفرعي الثقافي يتطابق مع الحفاظ على النمط والمعايير.

النسق الفرعي الاجتماعي يتطابق مع التكامل الاجتماعي.

وملخص ذلك وتوضيحه يكمن في أن فكرة بارسونز عن النسق تنطلق من الاستعارة الأساسية وهي مماثلة النسق الاجتماعي بالكائن الحي وهذه المماثل ـ التي

---

1. دبلة عبد العالي، مرجع سابق، ص 10.

فيها شيء كبير من الخطورة ــ تفسر الجانب الوظيفي من المركب البنائي الوظيفي لكل جزء من أجزاء النسق وظيفة خاصة به تؤدي في الأخير إلى الاتزان والاستقرار. ومقولة أن الحياة الاجتماعية هي نظام اجتماعي تفسر الجانب البنائي (نظام من أجزاء مختلفة وذلك من خلال التركيز على الاستقرار.

2.4.3. العلوم النموذجية:

يستلهم علماء الاجتماع البنائيين الوظيفيين من مختلف التخصصات العلمية المفاهيم الأساسية مثل الوظيفة، البناء، ويستعملون الوظيفة بمعان معينة منها الرياضي، البيولوجي والسبرنطيقي، أما مفهوم البناء فقد استلهموه من الانثربولوجيا وعلم النفس الاجتماعي.

أ) **الوظيفة الرياضية:** يدرس علم الاجتماع انساق ذات عناصر وانساق فرعية مترابطة فيما بينها بعلاقات متبادلة، ويمكن صياغتها في نماذج تتكون من مجموعة من المتغيرات القابلة للتكميم.

الوظيفة الرياضية عبارة عن صنف من علاقة التناظر أو التطابق بين مجموعتين س وص إذا لم ينطبق أي عنصر من س على أي العناصر المكونة ل ص يمكننا القول ان ص يعتبر وظيفة أو دالة بالنسبة س≤ ص = وس.

وتسمح العلاقات الوظيفية بوصف ارتباطات محددة بين متغيرات نسق ما، ويكون لكل عنصر وزن معين وتمثل المعادلة الخاصة بمجموع العناصر التوازن الوظيفي للنسق، كما يؤثر تعديل كل عنصر على التوازن العام للعناصر الأخرى.

وتسـمح هذه الطريقة بدمج المناهج الكمية كي يسـهل قياس حالة النسـق ودرجة تطوره، وقد شـكلت هذه الوظيفة قاعدة للنماذج الاقتصـادية الاجتماعية **لبارسونزوباريتو**.[1]

ب) **الوظيفة البيولوجية**: وتلعب فكرة الكائن الحي دورا حاسـما في التكوين المفهومي لفكرة الوظيفة في علم الاجتماع ويعتقدون أن كل جزء يسـاهم في بقاء النسـق، ويبدي تكيفا ناجحا مع المحيط والحاجات البيولوجية تحدد وظائف ثقافية وهي شـرط أو لي للنسـق الاجتماعي والقيم الثقافية متجذرة من الحاجات البيولوجية وهو ما يبرر البعد الغائي من الوظيفية التي يتكلم عنها علماء الاجتماع الأمريكيين. حياة، سعادة، تقدم.[2]

ج) الوظيفة السـبرنطيقية: النسـق يشـبه آلة تتبع المخطط السـبرنطيقي: وتقاس وظيفة نسق ما بالفرق بين مدخلاته ومخرجاته:

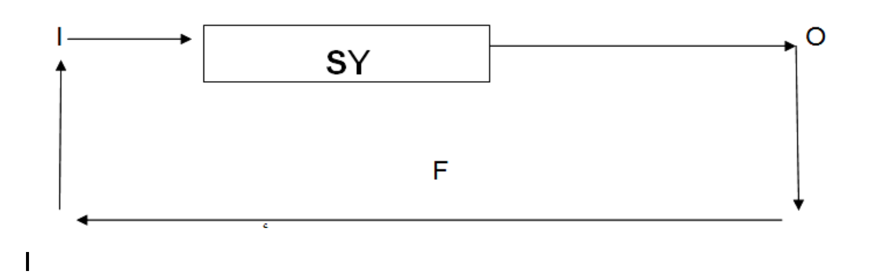
I مدخل معيار.

O مخرج سلوك.

SY نسق جماعة اجتماعية.

F فعل ارتدادي تغذية راجعة تعديل معيار.

1. جاك هارمان، مرجع سابق، ص 83.
2. نفس المرجع، ص 83.



والاهتمام هنا يكون منصبا على سهولة العناصر المعبرة عن أداء النسق.

ويوجد صنفان من الأفعال الارتدادية:

الايجابية التراكمية تنشط النمو الوظيفي.

سلبي ضبط النسق التوازن النسقي.

ويأخذ الاتفاق والاختلاف المجتمعي شكل عملية سبرنطيقية مرتبطة بالتوازن النسبي للنسق، فالنظام الاجتماعي يرتبط بعمليات تكيفية ويبدو كأنه يحقق ذاته ولا يخضع للغائية.

وتسمح الميكانيزمات السبرنطيقية بالتفكير حول أشكال التمفصل السببي المتعدد للنسق الوأحد، وهي فكرة نابعة من التأثير الآلي الميكانيكي، كيفية سير الآلات الميكانيكية بأن تبدأ الحركة من مكان معين لتؤثر في العديد من الأماكن أو أن تتشارك الكثير من المفاصل في تسيير جزء من الآلة، ويرى **بارسونز** أن الرقابة المعلوماتية تتضاءل في المستوى الاجتماعي وتتجه للارتفاع في المستوى البيولوجي بينما تسير كثافة الطاقة باتجاه المعاكس وهو ما يؤدي إلى إقامة هرمية سبرنطيقية مضاعفة بين الأنساق الاجتماعية. [1]

1. جاك هارمان، مرجع سابق، ص84.

د) البنية الانثربولوجية: وتعني البنية بالنسبة الانثربولوجيا الاجتماعية والثقافية الطابع المتغير للقواعد والمعايير المقبولة في ثقافة معينة، ويرى **مالينوفسكي** أن بنية أي مؤسسة تشير إلى نموذج وحيد ينطلق من الهدف الأساسي باتجاه النتيجة الوظيفية للمؤسسة عن طريق الانجازات، أما ميثاق المؤسسة فيشير إلى أهدافها الجماعية وتشكل المعايير وقواعد السلوك المنبثقة عن الميثاق، أما نسق الأنشطة فيمثل الموظفين، والوظيفة هي الانجاز وإشباع حاجات الموظفين وهذا مرتبط بتصور الطبيعة الإنسانية وحاجاتها الأساسية وبعيد عن علم الاجتماع حيث تصبح دلالة كل موضوع مرتبطة بموقعه المؤسسي.[1]

هـ) البنية في علم النفس الاجتماعي: ويشير إلى شبكة التفاعل بين الأفراد وبين الجماعات المحدودة الحجم، وهي تمثل الأدوار الأنانية التي تمثل مواقع يمكن للأفراد احتلالها ضمن تلك البنية، وبهذا فان تصنيف الأدوار تشكل المهمة الأساسية في صياغة نظرية للبنية الاجتماعية، وتعتبر البني وسائل لتحقيق وظائف البقاء وإشباع رغبات الإنسان، وهي هنا أداة شكلية لتجاهلها بعض العلاقات المتميزة مثل القوة والنفوذ والتسلط، أما بالنسبة للقياس الاجتماعي فهي تهتم بالسلبية والايجابية وتبني الخارطة الاجتماعية.[2]

---

1. جاك هارمان المرجع السابق، ص 85.

2. نفس المرجع، ص 86.

البنية في التقانة: تعتبر التصــميم الســوســيوتقني بنية عرضــية من الإشــارات الوظيفية التي تتشــكل بشــكل ملموس، مجموعة وظائف اجتماعية تقف وراءها دافعية رمزية.[1]

5.3. المبادئ الأساسية التي يرتكز عليها المنظور الوظيفي

يعتمد المنظور الوظيفي على افتــــراض أســاســي يدور حول فكرة تكامل الأجزاء والاعتماد المتبادل بين العناصــر المختلفة للمجتمع. ويرى هذا المنظور أن المجتمع نسق يتألف من عدد من الأجزاء المترابطة، ويهتم بدراسة العلاقة بين مختلف هذه الأجزاء وبين المجتمع ككل، كما ينظر إلى المجتمع على اعتبار انه شبكة منظمة من الجماعات المتعاونة التي تتجه نحو الاســتقرار، وتتفق حول القيم المرتبطة بالأهداف ووسائل تحقيقها، ويرى المنظور الوظيفي أن كل أجزاء النسق ـــ بحكم طبيعتها ووجودها ـ متساندة على نحو معين، وتسهم بطريقة ما في تدعيم الكل.[2]

---

1. جاك هارمان، مرجع سابق، ص 87.

2. طلعت إبراهيم لطفي، كمال عبد الحميد الزيات، النظرية المعاصــرة في علم الاجتماع، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، ص 68.

4- المدخل المنهجي الصراعي

1.4. رؤية منظور الصراع لطبيعة الإنسان والواقع الاجتماعي:

ما هو منهج **ماركس** في بناء نظريته عن المجتمع؟

يتضمن منظور الصراع عدة افتراضات عن طبيعة الإنسان وقدراته وعلاقته بالواقع الاجتماعي، ويمكن التعرف على هذه الافتراضات من خلال النظرية الاجتماعية عند ماركس على اعتبار انه المؤسس الأول لنظرية الصراع.

ويذهب **ماركس** إلى أن الإنسان متطور دائما، وان قدراته الكامنة والممكنة غير محدودة من حيث إمكانية تطويرها، ويمكن للإنسان أن يحقق أعلى صورة من الكمال في الخلق والإبداع والفكر والفعل. بالإضافة إلى أن الإنسان هو خالق ظروفه وهو لها في نفس الوقت إلا انه يجب التفرقة بين الحالة الراهنة للإنسان وبين ما يمكن أن يكون عليه إذا تغيرت الظروف التي يعيش فيها. [1]

السؤال المفتاح الذي طرحه **ماركس** لبناء نظريته عن المجتمع: ما هو الشرط لوجود حياة اجتماعية؟ [2]

---

1. طلعت إبراهيم لطفي، كمال عبد الحميد الزيات، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، ص104.

2. تاج السر عثمان ما هو منهج ماركس في بناء نظريته عن المجتمع، مركز الأبحاث والدراسات العلمانية في العالم العربي، تاريخ النشر، 26. 1، 2017، تاريخ الزيارة4 / 11/ 2018
http: //www. ssrcaw. org/ar/art/show. art. asp?aid=5460372

والذي يفهم من هذا الســؤال قبل الإجابة عنه أن **كارل ماركس** يريد الإجابة عن السؤال المعروف عند علماء الاجتماع بالمسألة الهوبزية التي تبحث في الدوافع التي تحمل الناس إلى الاجتماع وتكوين جماعات اجتماعي. ومن هنا حاول ماركس البحث في هذه المســألة من خلال محاولته الإجابة عن الســؤال الســابق وفي هذه الجزئية من كتابنا هذا ســنحاول التركيز على المنطلقات الماركســية في تفســيرها للحياة الاجتماعية.

في الإجابة علي هذا السؤال: أشار **ماركس** إلي حقيقة بسيطة: هي أن البشرية قبل أن تمارس السياسة والفن والدين والعلم..الخ، عليها أن توفر مقومات حياتها التي تتمثل في: المأكل، المشرب، الملبس، المأوي..الخ. ولكي يتم ذلك لابد من أن ينتجوا.

ويفهم مما ســبق أن **ماركس** يرى بان الناس في بداية اجتماعهم يركزون على الحاجيات الأولى للحياة قبل التفكير في نظام الحياة الاجتماعية العلوية.

ولكي تتم عملية الإنتاج لابد من توفير أدوات الإنتاج وموضــوع العمل (وســائل الإنتاج)، وحاصل وسائل الإنتاج والعمل البشري أطلق عليه **ماركس** قوي الإنتاج.

وكذلك لابد أن تحدث علاقات إنتاجية (ملكية أو توزيع) أثناء عملية الإنتاج.

وحدة قوي الإنتاج وعلاقات الإنتاج تســمي البنية التحتية للمجتمع، وحول البنية التحتية تقوم بنية علوية تتمثل في الســياســة والدين والفن والحقوق..الخ. وحدة البنية التحتية والعلوية هي ما نطلق عليه التشــكيلة الاقتصــادية – الاجتماعية.

ومن هنا يظهر أن ماركس يهتم بالخيوط الخفية التي تتحكم في الحياة الاجتماعية لهذا قسم البناء الاجتماعي حسب مشاركته في العملية الإنتاجية المتعلقة بالاقتصاد والتنمية إلى قسمين: :

أ) البناء التحتي (الاقتصادي) : وهو الأساس الحقيقي الذي يقوم عليه البناء الفوقي، وهو الذي يحدد طبيعة النظام الاجتماعي، ويطلق على قوى الإنتاج، وعلاقات الإنتاج المرتبطة بها في البناء الاقتصادي، فأثناء عملية الإنتاج الاجتماعي يدخل الأفراد في علاقات محددة وضرورية مستقلة عن إراداتهم تتفق مع مرحلة من مراحل تطور قوى الإنتاج المادية، وتكون جملة هذه العلاقات: البناء الاقتصادي للمجتمع.

ب) البناء الفوقي ويتكون من النظام السياسي والأيديولوجية السائدة وثقافة المجتمع ويعد هذا البناء انعكاس للبناء الاقتصادي أي انه متغير تابع، فالسلطة السياسية على سبيل المثال: تمثل مصالح الطبقة المسيطرة والمالكة لوسائل الإنتاج، كما أن طبيعة الدول ذاتها تتشكل حسب طبيعة النظام الاقتصادي، إذ نقول النظام الإقطاعي، النظام الرأسمالي، النظام الاشتراكي استنادا إلى طبيعة النظام الاقتصادي. [1]

أ) الطبقات والتغير الجدلي:

أشار **ماركس** إلي أن التناقض بين قوي الإنتاج وعلاقات الإنتاج يؤدي إلي التحول الاجتماعي، كما أشار إلي أن الصراع الطبقي هو القوي المحركة للمجتمع، إضافة للعوامل الأخرى من: سياسية واثنيه وثقافية، ودينية..الخ. ويرى **ماركس** أن تطور

1 .خالد حامد، مدخل الى علم الاجتماع، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 76- 77.

المجتمعات هو نتاج للتفاعل بين الإنسـان والطبيعة من خلال العملية الإنتاجية، وكل نوع من أشـكال الإنتاج يسـتلزم بالضـرورة شـكلا معينا من العلاقات الاجتماعية بين الأفراد الذين يشتركون في العملية الإنتاجية، ولا يوجد أي نوع من المجتمعات لا يقوم أساسا على شكل محدد من العلاقات الإنتاجية، ومن خلال العملية الإنتاجية لا يغير الناس من الطبيعة فحسب بل يغيرون بعضهم بعضا، فلكي ينتج الناس لا بد أن يدخلوا في علاقات محددة مع بعضهم البعض، وعن طريق هذه العلاقات يمكن أن يؤدي نشاطهم إلى الإنتاج وتغير الطبيعة [1].

ومن هنا يظهر أن الفكرة الأساسية التي آمن بها ماركس هي فكرة التغير الجدلي الذي ينبع من الصـراع بين العناصـر المتضـادة أو المتناقضـة، وهذه العملية الجدلية هي القانون العام الذي يحكم كافة أشكال الظواهر أو الأنساق الموجودة في الطبيعة فإذا أخذنا المجتمع مثلا بوصـفه نسـقا أو نظاما أو ظاهرة فإننا نجد عنصرا معينا يسمى **الموضوع** يتجه إلى أن يخلق أمر ينتج عنه **نقيضه** والصراع بين الموضوع ونقيضه ينتج عنه عنصـر جديد يحلفيه التناقض القديم يسـمى **مركب الموضـوع (النتيجة)** وخير مثال علمي يصـور ذلك نجده في نظرية ماركس عن الطبقات الاجتماعية، ففي المجتمع الرأسـمالي نجد التناقض والعداء بين الطبقة الرأسمالية: المالكة لوسائل الإنتاج، وطبقة العمال المالكة لقوى عملها، فالعلاقة بين الطبقتين هي علاقة تناقض وصـراع، لا يمكن حله إلا عن طريق

---

1. تاج السر عثمان ما هو منهج ماركس في بناء نظريته عن المجتمع، مركز الأبحاث والدراسات العلمانية في العالم العربي، تاريخ النشر، تاريخ النشر، 26. 1، 2017، تاريخ الزيارة4 / 11/ 2018
http: //www. ssrcaw. org/ar/art/show. art. asp?aid=546037

الثورة العمالية والإطاحة بالنظام الرأسمالي وإحلال النظام الاشتراكي كعنصر جديد يحل هذا **التناقض** ومن ثم فان الصراع هو عملية تاريخية حتمية فهو الطريق الطبيعي لأحداث التغيرات الاجتماعية والتاريخية.

ففي المجتمع هناك طبقتان: خاصة المجتمع الرأسمالي.

ـ طبقة الملاك الرأسماليين (**البرجوازيين**).

ـ طبقة العمال الذين لا يملكون سوى قوة عملهم (**البروليتاريا**). [1]

وبهذا يلاحظ المتطلع إلى فكر **ماركس** انه يذهب إلى أنه لابد لكي تنشأ حياة اجتماعية ولكي يستطيع الإنسان أن ينتج، من توفر ظروف طبيعية معينة فلابد من وجود بيئة جغرافية كشرط ضروري لنشاط الإنسان الإنتاج يؤبدون التفاعل مع الطبيعة لا يمكن أن يكون هناك عمل ولا نشاط إنتاجيكما أن وجود السكان شرط ضروري آخر لحياة المجتمع، وعلى الرغم أن من وجود البيئة الجغرافية والسكان شرطان ضروريان للحياة الاجتماعية، إلا أنهما ليسا العامل الحاسم في التطور الاجتماعي، إذ أن العمل هو أساس الحياة الاجتماعية وان إنتاج الثروة المادية هو المحدد للتطور الاجتماعي[2].

ب) **المنهج العلمي عن الماركسيين**: يلاحظ القارئ أن منهج **ماركس** في تناول القضايا هو المنهج المألوف عند كل مفكر علمي مستعد دائما لإعادة النظر في تقديراته السابقة علي ضوء الشواهد اللاحقة. ، ولكن ذلك لا يجعله يتخلي عن أساس نظريته العلمية.

1 .خالد حامد، مرجع سابق، ص 77.

2. طلعت إبراهيم لطفي، كمال عبد الحميد الزيات، مرجع سابق، ص 105

المنهج الذي وصل عن طريقه **ماركس** إلي نظريته في التطور الاجتماعي هو المنهج نفسه الذي استخدمه **داروين** في إقامة نظريته عن تطور الأنواع بالانتخاب الطبيعي.

ومن هنا يظهر أن الماركسية لم تأتِ بأفكار فقط، وبالأساس، بل أتت بما يُعَدُّ نقلة نوعية في التاريخ البشري. فقد بلور **ماركس** استناداً إلى **هيغل** (الجدل) **وفيورباخ** **(**المادية**)** منهجية عُدَّت نقلة نوعية في تطور الفكر، بعد أن بلور الجدل المادي. فبعد منطق **أرسطو**، المنطق الصوري، بات هناك الجدل المادي. وهي نقلة في الفهم نقلت التفكير من الشكل والسكون إلى الجوهر والصيرورة، بدءاً من الشكل والسكون كلحظة أولى.

هذه هي أهمية الجدل المادي، وهذه هي أهمية الماركسية، وأهمية **ماركس** بالتحديد. حيث أنها تفرض "تغيير" منطق التفكير، وتنقل النظر من المنطق الصوري إلى الجدل المادي. هذا هو أس الماركسية، أي الأساس الذي يشاد عليه كل بناء الماركسية، والأساس الذي يفرض إعادة البناء في كل لحظة، لأننا "لا نستطيع الاستحمام في ماء النهر مرتين". وبالتالي فهو منهجية التفكير التي تحكم نظرنا في كل لحظة، وتجعلنا في "بحث دائب" في الواقع، وفي ملاحظة كل تغيُّر فيه، ومن ثم الوصول إلى استنتاجات جديدة أو إعادة إنتاج الاستنتاجات ذاتها.[1]

لكن ما يجب الإشارة إليه هو أن نظرية **ماركس** تفتقد تلك الدقة المميزة للعلوم التي تتناول ظواهر فيزيائية وكيميائية، ذلك أن القوانين والتعميمات الموجودة في

---

1. سلامة كيلة، في الماركسية، مجلة رمان الثقافية، تاريخ الزيارة 4/ 11 ./ 2018

https: //rommanmag. com/view/about

النظرية مصاغة في حدود كمية، ويقول البعض أن هذا يدخل في النظرية الماركسية نوعا من الغموض غير العلمي، ولكن إذا كان هذا الاعتراض يجعل من نظرية **ماركس** غير علمية، فهل يجعل ذلك من نظرية دارون في علم الأحياء أو نظريات **فرويد** في علم النفس مثلا غير علمية؟.

ويبقي أنه ليس ثمة إنسان عاقل يتوقع أن تتخذ كل التعميمات عن التطور الاجتماعي والبيولوجي شكل الصياغة الكمية التي يتخذها علم الفيزياء أو الميكانيكا مثلا، ولكن رغم الاختلافات، نلاحظ أن العملية نفسها لإقامة نظرية أساسية في تلك العلوم نفسها التي رأيناها في النظريات الاجتماعية والبيولوجية عند **ماركس ودارون**.

على سبيل المثال في إقامة النظرية الأساسية لعلم الميكانيكا: كانت الفكرة الأساسية التي قدمها العالم الانجليزي **نيوتن** والتي تم قبولها هي (كل جسم يظل علي حالته من سكون أو حركة بسرعة منظمة، ما لم تؤثر عليه قوي خارجية). وباكتشاف هذه الفكرة الأساسية تم صياغة المفاهيم الأساسية لعلم الميكانيكا مثل: القوة، الكتلة،..الخ.

وهذا يناظر المفاهيم الأساسية التي صاغها **ماركس** مثل: قوي الإنتاج، علاقات الإنتاج، البنية التحتية والفوقية، التشكيلة الاقتصادية – الاجتماعية..الخ، ولكنها في هذه الحالة الأخيرة ليست كمية.

المثال الآخر هو النظرية النسبية الخاصة التي اكتشفها عالم الفيزياء **اينشتين** عام 1905م، والتي قامت على مسلمتين:

الأولى: هي مبدأ النسبية القائل (بأن جميع اطر القصور الذاتي معادلة تماما لأداء التجارب الفيزيائية جميعا).

ويقتضي هذا أنه إذا كان ثمة معمل يتحرك بسرعة متساوية، فان حركة المعمل لا تؤثر أي تأثير علي نتيجة التجربة التي تجري داخله.

الثانية: (إن الضوء ينتقل خلال فراغ بسرعة ثابتة في اطر القصور الذاتي جميعا).

أو بعبارة أخري أن سرعة الضوء التي يقيسها راصد هي نفسها بغض النظر عن السرعة النسبية للراصد ومصدر الضوء.

هذا الامتزاج بين مبدأ النسبية وثبات سرعة الضوء وقع في نظرية النسبية الخاصة، وبمجيئه تم استبعاد فكرة الأثير بقضها وقضيضها، وما يرتبط بها من مفهوم المكان المطلق.

وهكذا تم وبضربة وأحدة اكتساح كل الأسس التي قامت عليها الفيزياء الكلاسيكية لمدة تزيد على قرنين.

إذا دققنا النظر إذن في الأفكار الأساسية عند **ماركس** نلاحظ طابعها العلمي، وأن **ماركس** وضع نظريته في المجتمع على النحو نفسه الذي وضع به آخرون أسس العلوم الأخرى.

تنظر الجدلية إلى الأشياء والمعاني في ترابطها بعضها بالبعض الآخر وما يقوم بينها من علاقة متبادلة وتأثير كل منها على الآخر، وما ينتج عن ذلك من تغيير كما تنظر إليها عند ولادتها ونموها وانحطاطها.

وهكذا لما كانت الجدلية تهتم بالحركة في كل أشـــكالها وليس فقط بالتغيير المكاني بل بتغييرات الحالات كتحول الماء السـائل إلى بخار فإنها تفسـر الحركة عن طريق نضال الأضداد وذلك أهم قانون في الجدلية.

يقوم الميتافيزيقي بعزل الأضـداد بعضـها عن بعض، وينظر إليها على أنها متنافرة بصـورة منظمة، أما الجدلي فهو يكتشـف بأنه لا يمكن أن يوجد بعضـها دون البعض، وان كل حركة وكل تحول أنما يفسره ما ينشأ بينها من نضال.

ومثال ذلك **أن حياة الجسـد هي نتيجة نضـال مسـتمر بين قوى الحياة وقوى الموت، وأنها انتصار تنتزعه الحياة من براثن الموت.**

إذ أن كل كائن عضـوي هو في كل لحظة، ذاته وليس ذاته، فهو في كل لحظة يتمثل مواد غريبة ويفرز مواد أخرى، تموت في كل لحظة، خلايا من جسـده بينما تتكون أخرى، بمعنى أن كل كائن عضـوي هو دائما ذاته وليس بذاته يعني انه يحمل عناصر تساهم في حياته وأخرى تؤدي إلى موته.

وحتى ما إذا تأملنا الأشـياء جيدا وجدنا أن قطبي التناقض لا يمكن الفصل بينهما بالرغم من تناقضـهما، وان كلا منهما يتداخل في الأخر، وهكذا فان السـبب هما تصوران لا قيمة لهما إلا إذا طبقناهما على حالة معينة، حتى إذا ما اعتبرنا المعينة في علاقتها بمجموع العالم انحلا في نظرتنا إلى التفاعل الشـامل المتبادل حيث تتبدل الأسـباب والنتائج باسـتمرار فيصـبح ما كان نتيجة هنا يصـبح سـببا هناك وهكذا دواليك[1]، ويعود الفضل في التكوين التاريخي لهذا المنهج إلى علماء الفلسفة

---

1. جورج بولتزر وآخرون، أصول الفلسفة الماركسية، تر جمة شعبان بركات، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، ب ت، ص 28،

اليونان فقد تصوروا الطبيعة ككل وكان **هيراقليط** يعلم الناس أن هذا الكل يتحول، فكان يقول لا ندخل قط في نفس النهر مرتين، كما يحتل نضال الأضداد عندهم مكانة كبيرة ولاسيما عند **أفلاطون** الذي يشير إلى خصب هذا النضال، إذ أن الأضداد يولد كل منها الآخر، وكلمة الجدلية مشتقة من الكلمة اليونانية، دياليقيون، وتعني جادل فهي تعبر عن صراع الأفكار المتناقضة.

ونجد عند اكبر مفكري العصر الحديث لاسيما عند **ديكارت وسبينوزا** أمثلة رائعة عن التفكير الجدلي، وقد أعجب **هيجل** بالثورة التي انتصرت في فرنسا وقضت على المجتمع الإقطاعي الذي خيل إليه انه ابدي لا يزول، فإذا **بهيجل** يقوم بثورة مماثلة فينزل الميتافيزيقا وحقائقها الخالدة عن عرشها السامي، وأذل بالحقيقة عنده ليست مجموعة من المبادئ الجاهزة بل هي عملية تاريخية، تبدأ بالمعرفة التاريخية لتنتهي بالمعرفة السامية، وهي تتبع في ذلك حركة العلم نفسه الذي لا يتطور إلا إذا عمد إلى نقد نتائجه باستمرار وتجاوز هذه النتائج، وهكذا نرى أن الدافع لكل تحول هو نضال الأضداد.

ومع ذلك كان **هيجل** مثاليا، أي أن طبيعة التاريخ الإنساني بالنسبة إليه لم تكن سوى تجلي الفكرة الأزلية وهكذا تضل جدلية هيجل جدلية روحية صرفة.

ولقد رأى **ماركس** وقد كان زميلا **لهيجل** في أول الأمر، في الجدلية المنهج العلمي الوحيد. غير انه عرف أيضا كمادي، أن يعيد الجدلية إلى مكانها الحقيقي، فرفض القول بالنظرة المثالية للعلم التي ترى في الكون المادي ثمرة للفكرة، وأدرك أن قوانين الجدلية هي قوانين العالم المادي، وانه إذا كان الفكر جدليا فلان الناس ليسوا غرباء في هذا العالم بل هم جزء منه.

وقد كتب **انجلز** وهو صديق **ماركس** ومساعده يقول ليست الجدلية عند **هيجل** - التي تتجلى في الطبيعة والتاريخ في صورة ترابط التقدم السببي الذي نجده منذ البداية حتى النهاية خلال جميع الحركات المتعرجة الالتواءات المؤقتة - ليست هذه الجدلية سوى صورة لحركة الفكرة الذاتية التي تستمر منذ الأزل.[1]

فكان لابد من تجنب هذا الانقلاب الفكري فكان النظر إلى أفكار الذهن نظرة مادية على أنها انعكاس للأشياء بدلا من أن ننظر إلى الأشياء على أنها انعكاس لدرجة من درجات الفكرة المطلقة وهكذا أصبحت الجدلية معرفة قوانين الحركة العامة في العالم الخارجي أم في التفكير الإنساني، وهما طائفتان من القوانين المتماثلة في الأصل المختلفة في الشكل بمعنى أن الذهن الإنساني يمكن أن يطبقها عن وعي وإدراك بينما هي لا تطبق في الطبيعة أو في التاريخ الإنساني إلا بصورة غير واعية.

في شكل الضرورة الخارجية وسط العديد من الصدف الظاهرة، فإذا جدلية الفكرة ليست سوى انعكاس بسيط واع لحركة العالم الحقيقي الجدلية وإذا بجدلية **هيجل** ترفع رأسها فتقف على رجليها بعد أن كانت تقف على رأسها.

رفض **ماركس** إذن القشور المثالية في فلسفة **هيجل** واحتفظ باللباب العقلي أي احتفظ بالجدلية، وهو يقول ذلك بنفسه وبوضوح في المقدمة الثانية لرأس المال (كانون الثاني 1873) : (**لا يختلف منهجي في الأساس عن منهج هيجل فقط، بل هو نقيضه تماما، إذ يعتقد هيجل أن حركة الفكر التي يجسدها باسم الفكرة هي مبدعة الواقع الذي ليس هو سوى الصورة الظاهرية للفكرة، أما أنا**

1. جورج بولتزر وآخرون، مرجع سابق، ص29.

فاعتقد على العكس أن حركة الفكر ليســـت ســـوى انعكاس حركة الواقع وقد انتقلت إلى ذهن الإنسان) [1]

كيف وصـــل **مـاركس وانجلز** إلى هـذا الانقلاب الخطير؟ نجد الجواب على ذلك مؤلفاتهما، إذ أن ازدهار علوم الطبيعة في القرن الثامن عشر، وفي السنوات الأولى من القرن التاســع عشــر، وهو الذي أدى بهما إلى القول بان للجدلية أســاســا موضوعيا.

وكان للاكتشافات الثلاثة التالية أثر كبير في ذلك:

1) اكتشاف الخلية الحية التي تتطور عنها الأجسام المعقدة.

2) اكتشاف تحول الطاقة من حرارة وكهرباء ومغناطيس وطاقة كيميائية. في صور مختلفة نوعيا لحقيقة مادية وأحدة.

3) نظريـة التحول عنـد **داروين** فلقـد أظهرت هـذا النظريـة اعتمـادا على علم الحفريـاتوعلم تربيـة الحيوان، وان جميع الكـائنـات الحيـة (ومنهـا الإنســـان) paléontologieهي ثمرات التطور الطبيعي.

ولقد أو ضـحت هذه الاكتشــافات كما أو ضـحت جميع العلوم في ذلك العصــر كنشــوء علم طبقات الأرض الجيولوجيا الذي يعيد بناء تاريخ الكرة الأرضــية إلى الطابع الجدلي في الطبيعة، على أنها وحدة لكل شـاســع في صــيرورة دائمة يتطور حسب قوانين ضرورية ولا يكف عن تطوير المظاهر الجديدة، وما النوع الإنساني والمجتمع سوى لحظة من هذه الصيرورة الشاملة.

---

1. جورج بولتزر وآخرون، مرجع سابق، ص 30

انتهى **ماركس وانجلز** إلى القول بأنه يجب الاســتغناء عن المنهج الميتافيزيقي لفهم هذه الحقيقة الجدلية، ذلك المنهج الذي يقضي على وحدة العالم ويجمد حركته، فكان لابد من منهج جدلي، وقد أعاد **هيجل** الاعتبار إلى هذا المنهج ولكن لم يستطع اكتشاف الأسس الموضوعية له.

لم يأت إذن **ماركس وانجلز** بالمنهج الجدلي من الخارج بصــورة اعتباطية، بل استقياه من العلوم نفسها التي تتخذ الطبيعة موضوعا لها والطبيعة الجدلية في ذاتها.

ولهذا ظل كل من **ماركس وانجلز**، طيلة حياتهما، على اتصـــال دائم بتقدم العلوم وقد ازداد المنهج الجدلي في دقته كلما ازدادت دقة العالم اتســـاعا وعمقا، كرس **انجلز** بالاتفاق مع **ماركس** (الذي ألف رأس المال) سنوات عديدة لدراسة الفلسفة وعلوم الطبيعة دراســة دقيقة كما كتب عامي 18771878كتابه ضـد **دورنج** وبدأ بكتابة مؤلف ضخم عن جدلية الطبيعة الذي خلف لنا منه عددا من الفصـول، وهو كتاب يفصل القول في حالة العلوم في عصره على ضوء المنهج الجدلي.

كان لابد أن يفوز المنهج الجدلي برضـا عدد من العلماء الذين اعتنقوا الماركسـية، وأشـــهر هؤلاء في فرنســا الفيزيائي العظيم **بول لانفيجين** الذي كان مواطنا كبيرا ووطنيا رائعا.

لقد برهن المنهج الجدلي على خصـوبته عند **ماركس وانجلز** نفسـهما فقد حل كل من **ماركس وانجلز** المشكلة التي لم ينجح سابقوهما في وضعها فلقد طبقا الجدلية المادية على التاريخ الإنسـاني، فأسـسـا علم المجتمعات (الذي يقوم على الفلسـفة

المادية للتاريخ)[1] والذي ســاعدهما على هذا التميز أنهما كانا ثائرين ومفكرين في نفس الوقت، ولأنهما كانا جدليين كذلك.

ج) تصور الماركسية لكيفية قيام المجتمع

كما أشرنا سابقا السؤال المفتاح الذي طرحه **ماركس** لصياغة نظريته العلمية، ما هو شرط قيام حياة اجتماعية من نوع معين؟ .

كان الجواب هو: أن شــرط قيام أي نوع من الحياة الاجتماعية هو أن يتشــارك الناس معا في إنتاج احتياجاتهم المادية، وكانت القضــية القائلة بأن الناس كي يشاركوا في إنتاج ضرورات وجودهم، هي القضية الأساسية التي أقام عليها **ماركس** علم المجتمع، ومن هذه القضـية اسـتطاع **ماركس** أن يصـوغ المفاهيم الأسـاسـية التي يمكن علي ضوئها تحديد النمط الاجتماعي للإنتاج مثل: قوي الإنتاج، علاقات الإنتاج. فمن اجل أن ينتج الناس اجتماعيا ضــرورات وجودهم، كان عليهم أن يصنعوا الأدوات والوسائل، وأن يكتسبوا المهارة والمعرفة لاستخدامها، وتلك قوى إنتاجهم، وهو في اســتخدامهم لقوي الإنتاج، لابد أن يدخلوا في علاقات إنتاج اجتماعية للإنتاج.

كتب **ماركس (فمن اجل أن ينتجوا، لابد من أن يدخلوا في علاقات أحدهم مع الآخر، وداخل هذه العلاقات فقط يمكن أن يتحقق الإنتاج)**. ويقول **ماركس** في مؤلفه **(رأس المال)** : **(بينما يؤثر الإنســان علي الطبيعة الخارجية من اجل الحفاظ علي وجوده، فانه يغير طبيعته هو..).**

---

1. جورج بولتزر وآخرون، مرجع سابق، ص 32.

ويقول أيضا في مؤلفه (**مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي**) : (**علي أساس حالة معينة للقوي المنتجة تتكون علاقات إنتاج معينة). يواصـــل ماركس ويقول: (ليس وعي الناس هو الذي يحدد وجودهم الاجتماعي، بل وجودهم الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم).**

يواصـــل ويقول (**عندما تبلغ قوى المجتمع المنتجة درجة معينة من تطورها، تدخل في تناقض مع علاقات الإنتاج الموجودة في هذا المجتمع، أو مع علاقات الملكية وليســت هذه ســوي التعبير الحقوقي لتلك التي كانت تتطور ضــمنها، وعندما تتحول علاقات الإنتاج إلي عائق أمام تطور القوي المنتجة، عندئذ ينفتح عهد الانقلاب الاجتماعي**).

يواصل **ماركس** ويقول (**تتشكل المؤسسات الحقوقية والسياسية علي أساس العلاقات الفعلية بين الناس في عملية الإنتاج الاجتماعي، فلفترة من الوقت تســاعد هذه المؤســســات في تطور القوي المنتجة لشــعب ما وازدهار حياته الاقتصــادية، وعلاقات الإنتاج تشــمل علاقات الملكية التي يدخل فيها الناس الذين يملكون وســائل الإنتاج ويســتولون علي الناتج ويوزعونه، وهي أســاس البناء الاقتصادي للمجتمع وانقسامه إلى طبقات**).

وحين وصــل **ماركس** إلى اســتخلاص أن شــرط الحياة الاجتماعية هو الاشــتراك في نمط إنتاج يتكون من دخولهم في علاقات إنتاج محددة لاســتغلال قوى الإنتاج، وضــع الفرض العام حول الطريقة التي تتطور بها الحياة الاجتماعية يمكن أن نســميها القانون العام لكل تطور اجتماعي، وهو يقول بأن الناس دائما يجب أن

يطوعوا علاقاتهم الإنتاجية لقواهم الإنتاجية، وأن يستنبطوا الأفكار وينظموا أنفسهم في المؤسسات التي تمكنهم من هذا.

وبعد عدة سنوات من اكتشاف **ماركس** الفهم المادي للتاريخ ظهر كتاب عالم الاجتماع الأمريكي **مورغان** (**المجتمع القديم**)، والذي أكد بطريقة مستقلة اكتشاف **ماركس** وعمق نظرية **ماركس**، وقد اعتمد **انجلز** علي كتاب **مورغان** في مؤلفه (**أصل الدولة والعائلة والملكية الخاصة**)، والذي أو ضح أن الدولة هي نتاج تطور تاريخي، ظهرت مع انقسام المجتمع إلي طبقات، كما أو ضح أن ظهور الفوارق الطبقية بعد اكتشاف الزراعة والرعي وخروج المرأة من الإنتاج، كان بمثابة الهزيمة التاريخية لجنس النساء، ومنذ تلك اللحظة بدأ تهميش النساء وتكريس دونية المرأة، حيث كانت المرأة في المجتمع البدائي متساوية مع الرجل، وكان هناك تقدير لدور المرأة حلم يظهر من التفسير الماركسي الجدلي للحياة الاجتماعية حيث انه يحاول جاهدا رفض التفسير الميتافيزيقي الذي يقوم بعزل الظواهر كلا منها عن الأخرى فتعزل الواقع عن الحياة الاقتصادية عن الحياة الاجتماعية وتعزل الحياة السياسية عنهما، كما أنها تدخل الحواجز داخل كل هذه الميادين.

ولا يفهم الميتافيزيقي تاريخ المجتمعات بأنه عبارة عن خليط من العوارض (أي الظواهر التي لا سبب لها) ومن الصدف العابثة حتى أن فلاسفة يؤكدون ومنهم (**ألبيركامو**) أن جوهر العالم هو العبث، هذه الفلسفة مفيدة لصانعي الكوارث، أما الجدلي فهو يعلم أن كل شيء في الطبيعة مرتبط بعضه ببعض فإذا انهارت المدارس فليس ذلك لعجز الحاكمين بل لان سياسة الحرب تتطلب تضحية أبنية

المدارس، ولقد لاحظ **أراجون** أن الاستعداد للموت يقصر الحياة، كل شيء يتعلق بظروف المكان والزمان وتستطيع الجدلية أن تفهم الظواهر الاجتماعية وتفسرها لأنها تصلها بالظروف التاريخية التي تولدت عنها والتي تتفاعل معها، أما الميتافيزيقي فهو يعيش في التجريد ولا يعبأ بظروف الزمان والمكان، وليست الطبيعة ولا المجتمع خليطا يستعصي على الفهم بل أن جميع جوانب الواقع فيما بينها روابط ضرورية متبادلة.

ولهذا القانون أهمية عملية، يجب إذن أن ننظر إلى وضع أو حادثة مهمة نظرة تحيط بالظروف التي تولد هذه الأشياء وتفسرها، كما يجب دائما الاهتمام بما هو ممكن وما هو غير ممكن [1].

هذه باختصار أسس النظرية العلمية للفهم المادي للتاريخ التي استخدمها كخيط هادي لدراساته والتي أهمها مؤلف (رأس المال)، والذي اكتشف قانون فائض القيمة والذي أو ضح سر الاستغلال الرأسمالي.

وتبيين كل ما سبق هو أن **كارل ماركس** حاول أن يعارض التفسير الميتافيزيقي القائم على محاولة ربط الحياة الاجتماعية بأشياء غيبية لا يمكن أن نحسها بتفسير سببي يرتبط بمكان وزمان الحادثة أو الظاهرة الاجتماعية وان أي ظاهرة تحدث داخل المجتمع إلا ولها تناقضات اجتماعية أدت إلى وقوعها على ذلك الشكل.

بهذين الاكتشافين **(اكتشاف المفهوم المادي للتاريخ، ونظرية فائض القيمة)** تحولت الاشتراكية إلي علم، والعلم لا يعرف الحقيقة النهائية.

---

1. جورج بولتزر وآخرون، مرجع سابق، ص46.

واكتشـاف **ماركس** في علم الاجتماع أيضـا، يمكن مقارنته باكتشـاف **كوبرنكس** في علم الفلك، كان علم الفلك قبل **كوبرنكس** يقول: بأن الأرض هي مركز ثابت تدور حوله الشمس وغيرها من الأجرام السماوية، وهذه الفكرة أدت إلي استحالة تفسير العديد من ظواهر الميكانيكا الفلكية. انطلق **كوبرنكس** من العكس تماما، فقد افترض أن الشمس ليست هي التي تدور حول الأرض، وهكذا اكتشف وجهة النظر الصحيحة، واتضح الكثير مما لم يكن واضحا قبل **كوبرنكس**.

ومنذ اكتشـــاف **دارون وماركس وكوبرنكس ونيوتن** في علم الأحياء والاجتماع والفلك والميكانيك، علي التوالي، لم يتوقف الفكر الإنســاني، ولم تتوقف هذه العلوم، بل حققت اكتشـافات جديدة ووسـعت تلك الاكتشـافات والنظرية، علي سبيل المثال:

لم يتوقف علم الأحياء عند اكتشـاف **دارون** بتطور الكائنات العضـوية بالانتخاب الطبيعي، بل تطور علم الوراثة تطورا مذهلا، حتى تم اكتشـــاف الجين الوراثي (D. N. A).

كما تطور علم الفلك تطورا هائلا حتى تم اكتشـاف نظرية الانفجار العظيم (Big-Bang)، التي فســرت نشــأة الكون، ومازال البحث العلمي مســتمرا في البحث عن نظرية أكثر دقة.

كما اكتشف **اينشتين** النظرية النسبية الخاصة (1905) والنظرية النسبية العامة (1915)، والتي عمقت وطورت نظرية **نيوتن** وخاصة بالنسبة لحركة الأجسام التي تتحرك بسرعات قريبة من سرعة الضوء.

وتطورت النظرية الماركسـية، بمعالجة الظواهر الجديدة مثل تحول الرأسـمالية من مرحلـة المنـافسـة الحرة إلي مرحلـة الاحتكـار والتي تنـاولهـا **لينين** في مؤلفـه (الامبريالية اعلي مراحل الرأسـمالية، 1916)، والتي فسـرت تطور الرأسـمالية وسلوكها في تلك المرحلة، وباعتبار أن طبيعة الرأسمالية لم تتغير بل ظهرت أشكال جديدة للاسـتغلال مثل الأرباح الاحتكارية ونهب الشـعوب إضـافة إلى نهب فائض القيمة عن طريق اسـتغلال العاملين. كما سـاهم **لينين** في توسـيع مفهوم المادة في مؤلفه (المادية والمذهب النقدي التجريبي 1907)، والذي تناول الظواهر الجديدة في علم الفيزياء مثل الدلالات الفلسـفية لاكتشـاف مكونات الذرة (الإلكترون، البروتون،..الخ)، والتي اسـتخلص منها بعض الفلاسـفة نتائج مثل اختفاء المادة، وقدم **لينين** تعريفه الجديد للمادة، بأنها (الواقع الموضوعي المستقل عنا).

كما طور **غرامشـي** المـاركسـيـة فيما يختص بدور البنية الفوقية للمجتمع في التغيير، وضـرورة كسـب الطبقة العاملة للقلاع في الجبهة الثقافية عن طريق خلق مثقفين عضويين يلعبون دورا هاما في هذه الجانب، باعتبار أن من يكسب المعركة في الجبهة الثقافية هو الذي يكسب السلطة السياسية في النهاية.

هذا إضـافة لدور الأحزاب الشـيوعية ودراسـة واقعها وخصـوصـيتها ودراسـتها للمتغيرات المحلية والعالمية وتقديم معالجات لها مثل المتغيرات التي حدثت في تركيب الطبقة العاملة، في ظل الثورة العلمية التقنية، وضـرورة توسـيع مفهوم الطبقة العاملة ليشـمل العاملين بأيديهم وأدمغتهم والذين يتعرضـون للاسـتغلال الرأسـمالي، وتبني إسـتراتيجية الوصـول للسـلطة بطريق ديمقراطي تعددي جماهيري.

وأخيرا يعتبر مؤلف **ماركس وانجلز**: الأيديولوجية الألمانية من أوائل المؤلفات التي صاغ فيها **ماركس وانجلز** المفهوم المادي للتاريخ بوضوح.

وينظر أصحاب منظور الصراع إلى القوى الإنتاجية وعلاقات الإنتاج في المجتمعات على اعتبار أنها أساس الواقع الاجتماعي، ومن ثم قدموا التفسير المادي لهذا الواقع الاجتماعي. فالعلاقات الاقتصادية في الإنتاج وتوزيع السلطة المادية تحدد بطريقة مباشرة أو غير مباشرة قيام الانجازات الروحية والسياسية والأخلاقية والثقافية والأيديولوجية في المجتمع.

وهذا ما يؤكد التوجه المادي لكل من ماركس وأتباعه حيث يرون إلى أن كل الصراعات التي عرفتها البشرية كانت من اجل الهيمنة على المادة المتمثلة في الملكية الفردية وخاصة في ما صوروه من حياة البشرية وانتقالها بين المراحل التاريخية، فان التاريخ بالنسبة لهم هو صراع الطبقات عن الملكية الفردية خاصة بعد ظهور أنانية الإنسان وتخليه عن مرحلة المشاعية التي كانت تتساوى فيها الناس في ملكية موارد الطبيعة وقد صوروا ذلك في خمس مراحل المرحلة الأولى هي مرحلة المشاعية والتي عرفت تساوي الناس أمام قانون الطبيعة وتشاركهم في مواردها وبهذا كانت علاقات الإنتاج متعادلة مع علاقات الإنتاج ولا يوجد إشكال بين الناس وبالتالي لا يوجد استغلال أو طبقية كما أن الإنسان في هذه المرحلة كان صديقا للبيئة محافظا عليها، تلي هذه الرحلة مرحلة العبودية وهي مرحلة انقسم فيها المجتمع الإنساني إلى قسمين قسم تحكم في وسائل الإنتاج وموارد الطبيعة ليشكل من خلالها ملكية فردية أصبح يطلق على اسمه طبقة الأسياد وقسم وقع عليه الاستغلال مثل قوى الإنتاج وعلى عاتقه تكون كل الجهود والأعمال ويتعامل معه

كأنه أحد وسائل الإنتاج سموا بطبقة العبيد لم يكن لهم من الحقوق إلا ما كان للحيوانات والأمتعة التابعة لملكية السيد وبفضل بعض محاولات التحرر من هؤلاء وصراعهم المرير مع طبقة الأسياد انتقلت المجتمعات إلى المرحلة الثالثة وهي مرحلة الإقطاعية وهي مرحلة عرفت فيها الضعيفة نوعا من الانفراج والتحسن في المستوى المعيشي إذ أصبح من حق العامل في هذه المرحلة أن يقيم أسرة ويستقر في بيت وأصبح كذلك يتلقى أجرا إلا أن الأجر الذي يتلقاه لا يعدو أن يسد رمق معيشته كما انه يباع ويشترى مع الأرض التي يعمل فيها وليس له حق الخروج منها في هذه المرحلة أصبح العامل يسمى قنا وسيده يسمى إقطاعيا نسبة إلى الإقطاعيات الأرضية التي يمتلكها ويتمتع بنفوذ اقتصادي واجتماعي كبير يستمده من قربه من الملكية الحاكمة والكنيسة المسيطرة على أذهان وتفكير المجتمع وبعد ثورات الأقنان ومحاولاتهم في النزوح الى المدينة وانتشار مبدأ دعه يعمل دعه يمر ظهرت مرحلة جديدة تطورت مع ظهور الصناعة في المدينة هذه المرحلة هي مرحلة الرأسمالية التي أصبحت فيها علاقات الإنتاج بين طبقتين هما طبقة العمال وطبقة أرباب العمل عرفت هذه المرحلة نوعا من ازدهار المستوى المعيشي للعامل وذلك بتلقيه أجرا ماديا مقابل ساعات معينة من العمل وله الحق في تغيير مكان عمله، وله حرية واسعة النطاق مقابل ما كان يحيا وهو قن إقطاعية هذه الحرية دعته إلى مواصلة مسيرة الثورة خاصة بعد ظهور مجموعة من المبشرين الجدد بحياة اجتماعية عادلة ومجتمع إنساني أرحب من أهم الأسماء التي يمكن ذكرها في هذا المضمار سان سيمون، كارل ماركس، فريدريك انجلز، عرفت هذه التبشيرات بالدعوة إلى الاشتراكية وهي مجتمع المساواة حيث يتساوى العامل مع

رب العمل ويصبح العمال هم من يمتلك وسائل الإنتاج ويتقاسمون الربح فيما بينهم على حسب المجهودات المبذولة هذه المرحلة سميت بالاشتراكية تمهيدا إلى العودة إلى المشاعية الأولى

ويتضح مما سبق أن منظور الصراع يتضمن بعض الافتراضات عن الطبيعة الإنسانية. ونجد أن هذه الافتراضات تحاول التوفيق بين فكرة حتمية السلوك الإنساني من جهة وبين قدرة الإنسان على إعادة تشكيل بيئته من خلال الجهود الثورية من جهة أخرى، ويسلم أصحاب هذه النظرية في وسع الإنسان أن يغير دائما من بيئته، وانه يملك المقدرة على السيطرة على هذه البيئة وأخا لأخيه الإنسان.

كما يتضمن منظور الصراع بعض الافتراضات عن طبيعة الواقع الاجتماعي حيث يؤكد هذا المنظور على أن الواقع في حالة تغير دائم وان أساس الواقع يتمثل بصفة رئيسية في القوى الإنتاجية وعلاقات الإنتاج في المجتمع.[1]

1. طلعت إبراهيم لطفي، كمال عبد الحميد الزيات، مرجع سابق، ص 106.

د) مناقشة وتقويم

إذا أردنا اختصار ما سبق **وطرحه** بطريقة أكثر وضوحا فإننا نقول:

انه لاشك أن ماركس حاول تقديم نظرية منظمة عن البناء الاجتماعي والتغير الاجتماعي كان لها الصدى الكبير على الفكر السوسيولوجي، لما أحدثته أفكاره من تأثير بعيد المدى في مجالات العلوم الاجتماعية وعلم الاجتماع بصورة خاصة، المجال يرى زايلتن في مؤلفه الايدولوجيا وتطور نظرية علم الاجتماع، حيث عرف وحلل تطور النظريات السوسيولوجية في ضوء الاستجابة لعاملين:

1) فقد كانت فلسفة التنوير في القرن التاسع عشر هي التي عملت على تشكيل علم الاجتماع الكلاسيكي ومن ثم تعد النقطة الملائمة لتتبع أصول ومنابع النظرية في علم الاجتماع.

2) ومن ناحية أخرى كان من إسهام ماركس في الفكر الاجتماعي في أواخر القرن التاسع عشر هو أهم حدث اثر في تطور نظرية علم الاجتماع ومن ثم ناقش زايلتن أراء كل من ماركس، فيبر، باريتو، موسكا، ميشلز، دوركايم، مانهايم في علاقتها بالفكر الماركسي ذاهبا إلى أنه مثلما نشأ علم الاجتماع في القرن التاسع عشر كجزء من الاستجابة المحافظة لفلسفة التنوير، فان علم لاجتماع في القرن العشرين قد تبلورت معالمه نتيجة للدراسات النقدية التي انصبت على النظرية الماركسية، أي أنها أخذت الماركسية بعين الاعتبار ودخلت معها في حوار بين القبول والرفض ولعبت دورها هذا به من دور ليس فقط من حيث الآراء والأفكار ولكن

كذلك لما اســتأثرت به من وجهات نظر، أدت في أخر الأمر إلى قيام عدد كبير من المدارس في علم الاجتماع.

وعلى الرغم من وقوع الماركســية في العديد من الأخطاء العلمية ســواء فيما يتعلق بالتركيز المطلق على العامل الاقتصــادي وإهمال العوامل الأخرى في التغير الاجتماعي وتحديد البناء الاجتماعي، أو فيما يخص ما قدمه من تصور خيالي لمراحل التطور التاريخي للمجتمعات إلا أنها مارســت تأثيرا كبيرا في علن اجتماع بصفة خاصة. [1]

2.4. الماركسية المحدثة أو البنيوية الماركسية

لقد غيرت الحرب العالمية الثانية المنظومة الدولية، وتركت العالم بصورة جديدة حددتها المنظومة الحديثة للنظام العالمي، هذا النظام الذي اختلفت حوله الآراء الماركســية الجديدة، خاصــة نوعية المفاهيم التي طرحها **ماركس**، فقد ســعت لتطوير الملامح التقليدية والإطار التصوري العام للماركسـية التقليدية، خاصـة بعد أن تعرضت للنقد، وبهذا عدلت كثيرا من المنهج الفكري العام للماركسية حتى تلاءم تيارات التغيير والتعديل الذي طرأ في العالم والحياة الاجتماعية.

1.2.4. المفاهيم الأساسية التي تقوم عليها الماركسية المحدثة

أ) الشـفرة الثقافية تشتغل البنيوية الماركسية بتأويل العالم الاجتماعي من خلال الخطابات والشــفرات الاجتماعية الثقافية، وتســتبدل فهم الوقائع الاجتماعية بطريقة ذاتية من قبل الباحث بالبرهنة الموضوعية على ارتباطها لغويا أو رياضيا،

1 .خالد حامد مرجع سابق، ص 80.

فالعالم بالنسبة لهم يتكون من ثلاث حقول الواقعي والمخيالي والرمزي فالعالم الاجتماعي عبارة عن شفرات وإشارات سيميائية متنوعة.

أما الاتجاهات والآراء فتنتمي إلى حقل ابستمولوجي أدنى. ــ الإدراك مغالطة فهو سطحي وساذج. التمثلات مصدر لمعرفة خاطئة. والوصول إلى الرمزي هو الضمان الوحيد لقطيعة معرفية حقيقية. ذلك أن العلم حقل الرمزي بامتياز.[1]

ب) البنية: هي نظام رمزي ذي ارتباطات غير معروفة لدى الفاعلين الاجتماعيين لكنها تتحكم بكل منطوق وبكل ممارسة ذات معنى وتتجاوز تمثلات الفاعلين وتتضمن الدلالات الثقافية فهي كلية سيميائية ومخطط مسبق للتفسير.

ماذا يعني لنا هذا التعريف للبنية لدى الماركسيين المحدثين؟!

يعني لنا أن المجتمع يتكون من مكونين مادي وهم الناس أو الأفراد ورمزي وهي شبكات العلاقات التي يتواصلون بها وعالم الاجتماع عليه أن يفكك هذه الرموز أي شبكات العلاقات التي تسير العالم الاجتماعي إذا أراد أن يصل إلى الحقيقة والبنية في نظرهم هي تشكل شبكة العلاقات وهذا يظهر في عبارة أن البنية هي نظام رمزي ذي ارتباطات غير معروفة لدى الفاعلين الاجتماعيين أي أنها خارجة عن عالم المحسوسات الذي يعيشونه ولذلك يصعب عليهم في كثير من الأحيان معرفتها لكنها في حقيقة الأمر تحكم الارتباطات السببية التي تشكل الأفعال التي يقومون بها لذلك تجد في أخر التعريف لكنها تتحكم بكل منطوق وبكل ممارسة ذات معنى والبنيوية تحاول أن تقدم مخططا للبنية يتكون من إجراءات رمزية وانساق سيميائية تحدد كيف تبنى الوقائع الاجتماعية الثقافية.

---

1. جاك هارمان، مرجع سابق، ص101.

وهي كما يعرفها **بيير بورديو**: نسق من العلاقات الموضوعية ذات خصائص تركيبية محدد تنقل إلى الأفراد عن طريق التنشئة الاجتماعية وهو بهذا يجاوز ويتجاوز اتجاهين نظريين في علم الاجتماع:

الأول موضوعي بنائي وظيفي

الثاني: ذاتي ظاهراني.

والارتكاز على هذين الاتجاهين يتيح لعلماء الاجتماع من وجهة نظر **بورديو** إمكانية إقامة علم قادر على دراسة العلاقة الديالكتيكية بين ما هو موضوعي وبين ما هو في الظاهرة الاجتماعية. [1]

2.2.4. السياق الاجتماعي الثقافوي:

أ) علموية جديدة: تطورت نظرية الماركسية المحدثة في خمسينيات القرن الماضي وقامت برفض المقاربة الذاتية والظاهراتية والجدلية والامبريقية الأمريكية وتولد عن هذا الرفض نزعة معادية للآنسة، تندد بالطابع الأيديولوجي لكل مقاربة تاريخانية وأعلنت نهاية الميتافيزيقا واعتبرت العلوم الاجتماعية تجسيدها الأخير، وتستلهم نموذجها الابستمولوجي من العلوم الصورية وعلوم اللسانيات.

ب) نقد العلوم الاجتماعية، تعتمد على بعض المسارات الجديدة التي يتطور فيها البحث، وظهرت في أعمال **لاكان** عند صياغة نظرية الشعور من خلال دراستها عن طريق السيمياء والهندسة الفضائية.

---

1. شبل بدران، حسن البيلاوي، علم اجتماع التربية الجديد، دار المعرفة الجامعية، ط3، 2009، ص106.

- **ألتوسير** يمارس القطيعة الابستيمية بين أعمال **ماركس** ذي التوجه الإنسي و**ماركس** الناضج بعد ما اكتشف ما اسماه قارة التاريخ ففي كتاب رأس المال توجد النظرية الموضوعية لأساليب الإنتاج حيث لا يتشكل الأفراد والطبقات سوى أدوات للوضعية البنيوية لقوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج. [1]
- **رولان بارث** الخطوات السيميائية لدراسة الظواهر الاجتماعية الثقافية.
- **كلود ليفي ستراوش** يدرس الأساطير مستعينا باللسانيات البنيوية.

ولقد ساهم وجود التشابه بين البنيوية الماركسية كعلم تأو يلي موضوعي والأدب في نجاح هذا النموذج المعرفي ضمن حقل ثقافي يعطى فيه الأدب بقيمة مؤسساتية واستطاعت أن تقدم تأويلا جديدا للتحليل النفسي والماركسية مما أعطاها صدى كبير بين المقاربات السوسيولوجية، لكن بعد أحداث ماي ثمانية وستين تعرضت لنقد واحتجاج كبيرين خاصة في استعمالها الابستمولوجي لمفاهيم مثل القوة والحدث. [2]

3.2.4. العلوم النموذجية:

تشكل البنية واقعا عميقا يتجاوز وعي الفاعلين الذين يحترمون مع ذلك قواعدها دون علم منهم وفي إطار جهلهم بالمسوغات الثقافية لمارساتهم الاجتماعية، وبهذا تتكون من مصدرين مصدر السني ومصدر رياضي يطبق على وقائع رمزية.

---

1. هارمان، مرجع سابق، ص102.
2. نفس المرجع، ص 103.

أ) **البنية الرياضــية**: تركز البحوث في ميدان الرياضــيات الحديثة على تحويل موضــوعاتها الرياضــية وإخضــاعها لفكرة البنية وهناك ثلاث بنى رئيسية تميز البناء الهندسي للرياضيات:

- البنى الجبرية.
- البنى الخاصة بالنظام.
- البنى الخاصة بالهندسة الفضائية.

وتطلق لفظة البنية على مجموعة من العناصر تصحبها علاقات أو عمليات معينة وهي مجردة وعامة، أما عناصرها والعلاقات الموجودة بينها فينبغي تأو يلها حسب الإطار المرجعي للبحث، وقد استعان علم الاجتماع البنيوي بصفة أساسية بالبنى الجبرية. وفي علم الاجتماع يســمح تأو يل البنية باســتخدام فكرة النموذج بإبراز مجموعة من التســميات الرمزية باعتبارها بنية ســيميائية، والترميز الاجتماعي الثقافي تحويل للبنى للقواعد الضــابطة للســلوك والقواعد الصــريحة يعبر عنها في جداول ممارسة، وتكشف الانثربولوجية البنيوية عن الأساطير وقواعدها الجبرية الإجرائية وتتميــــز البنى التجميعية بالأثر الرجعي لعملياتها عن طريق تحويلها أو نفيها وتصبغ هذه الخاصية على المتعارضات الجدلية طابعا صوريا.[1]

أما بنى النظام فتهتم بعلاقات التعاقب أو السوابق بين عناصر أحدى التصنيفات، فيما تقوم الترتيبات الاجتماعية بتطبيق القواعد الشكلية، أن البنيوية فن تركيبي يهتم بوصــف البدلات والتحولات الممكنة بين العناصــر الخاصــة بالمجموعات الثقافية أو التصــنيفات الاجتماعية بشــرط تحديد العناصــر التي تتألف منها

1. هارمان، مرجع سابق، ص104.

وقواعد التركيبات بين تلك العناصر المحدودة وهكذا يصبح بالإمكان إعادة تشكيل التركيبات الأيديولوجية والرمزية لمجموعة معينة بمنتهى الدقة.

ب) **البنية الألسنية**: تحدد الألسنية اللغة باعتبارها النتاج الاجتماعي للقدرة على الكلام، وكمجموع الظروف الضرورية لممارسة هذه القدرة عند المتحدثين وتعتبر اللغة نظاما تميزيا تكون عناصره في علاقة تعارضية ذات دلالة، وتعتبر بنية اللغة بمثابة مجموعة منجزة من العناصر المتميزة وقيمها الدلالية " لا وجود في اللغة سوى للاختلافات " وينبغي على علم الاجتماع البنيوي انطلاقا من أساس اللغة تحديد مستويات دلالية حاضنة تتلاءم مع وصف المجموعات الاجتماعية الثقافية.

وتعتبر فكرة المستوى ضرورة لا غنى عنها لفهم الطبيعة المنطوقة للكلام. كما يجري أيضا مقابلة تحليل قواعد البناء للأشكال اللغوية بالتحليل الدلالي للمعاني المتضمن فيها بالاعتماد على علم السيمياء باعتباره علما عاما للإشارات يمكن الناس من تبادل المعاني والاتصال فيما بينهم.

وتنظر البنيوية إلى المجتمع باعتباره مجموعة من أفراد وجماعات يتبادلون الإشارات بفضل مجموعة من الإجراءات الرمزية من أنواع الكلام، وبالتالي فان كل تبادل اجتماعي يجري اختزاله إلى مخططات غايتها تبليغ الرسائل وهذا يستدعي وجود مرسل ومستقبل، قناة، رمز، مرجع وموضوع. وتعرف النظرية الرياضية للاتصال الشفرة باعتبارها إجراءات اصطناعية أو اتفاقية هدفها بلوغ ترجمة خالية من الغموض بين منظومتين من الإشارات [1].

---

1. هارمان، مرجع سابق، ص105.

وتسعى السيمياء إلى صياغة قواعد الشفرتين الدوال والمدلولات، لكن السياق الاجتماعي لعملية الاتصال البشري لا يسمح بالتطبيق الصارم لهذا المخطط فالرسائل الاجتماعية الثقافية متعددة الدلالات مبالغ في تشفيرها وقد اشتغل علم الاجتماع البنيوي بتحليل الشفرات الاجتماعية التي تنتجها نصوص الممارسات الاجتماعية وإبراز الأنماط الخاصة بصياغتها من أجل إعادة البنية التفسيرية وهذا ما اهتم به **بورديو** في نظرية إعادة إنتاج رأس المال الثقافي.

4.2.4) بعض جهود العلماء الماركسيين المحدثين

أ) ألتوسر وإعادة إنتاج الايديولوجيا: يرى بان الطبقة الرأسمالية الحاكمة تؤمن جيدا بأهمية إعداد وإنتاج أجيال من الطبقات العاملة الجديدة من اجل خلق واستمرار المكاسب المادية التي تعتمد عليها الرأسمالية للبقاء.

كما ركز **ألتوسير** على طرح أفكاره وتصوراته لتوضيح فكرة إعادة إنتاج أيديولوجية القوى العاملة من خلال عمليتين أساسيتين هما:

- إعادة إنتاج المهارات الضرورية من اجل الحصول على قوى عاملة فعالة.
- إعادة أيديولوجية الطبقة الحاكمة.

والعمل على تنشئة العمال للاعتقاد بهذه الأيديولوجية وتصوراتها العامة، وهاتين العمليتين تشكلان إعادة إنتاج القوى العاملة وتعملان على إعادة القوى الفنية الفعالة والتي تكون خاضعة تماما للأيديولوجية الرأسمالية، كما يطرح **ألتوسير** عددا من الوسائل والميكانيزمات التي توضح كيفية إنتاج أيديولوجية معية للطبقة الحاكمة خاصة وان إعادة إنتاج قوة العمل لا تعتمد فقط على إنتاج المهارات، ولكن في نفس الوقت بالعمل على إعادة إنتاج أيديولوجية معينة للطبقة الحاكمة تعترف بها الطبقة العاملة، أما نوعية الوسائل التي تعزز كيفية إنتاج أيديولوجية معينة فتتجسد في إعادة تكوين مجموعة من أجهزة الدولة الأيديولوجية، والتي تشمل وسائل الإعلام الجماهيري والقانون والدين والتعليم ويكمن دور هذه

الأجهزة في نقلها لمكونات أيديولوجية الطبقة الحاكمة والتي تعمل على إيجاد نوع من الوعي الطبقي الزائف ذلك الوعي الذي يعمل على جعل الطبقة العاملة المحكومة خاضعة وتابعة بصورة مستمرة للطبقة الحاكمة الرأسمالية [1].

ب) إعادة الإنتاج الثقافي لببيير بورديو

يهدف **بورديو** أساسا إلى تفسير دور الثقافة المسيطرة في مجتمع ما في إعادة إنتاج بنية التفاوت الطبقي السائد في ذلك المجتمع.

والمقولة النظرية الرئيسية التي يبني عليها **بورديو** نظريته هي أن الثقافة وسط يتم به ومن خلاله عملية إعادة التفاوت الطبقي، ويستند **بورديو** في إثباته لهذه المقولة وتحليلها إلى مفهومين المفهوم الأول رأس المال الثقافي والثاني الانطباعات النفسية.

1) **رأس المال الثقافي**: جاءت نظرة **بورديو** للثقافة ملخصة في دراسته للقوة الرمزية وهي تركيب بين اتجاهين نظريين **الاتجاه الدوركايمي** الذي يصف الثقافة بأنها بانية للواقع الاجتماعي، لكنه استدرك على هذا الاتجاه إهماله للجانب الاجتماعي لوظيفة الثقافة، مما دعاه إلى الاستعانة **بماركس وفيبر** اللذين بينا أن الوظيفة الاجتماعية للثقافة، ذلك انه بها ومن خلالها تتمكن القوى الاجتماعية المسيطرة من فرض علاقات السيطرة في المجتمع والمحافظة عليها وفي هذا يقول: **إن علاقات السيطرة القائمة في المجتمع تميل دائما إلى فرض انسقة من حيث هي قوة معرفية بانية فإنها هي نفسها التي تقوم بإخفاء شكل علاقات السيطرة هذه التي فرضتها وأتت بها وذلك بما تنتجه من ادراكات مزيفة لهذه العلاقات ومتى نجحت علاقات السيطرة في فرض وغرس معاني ورموز تخفي حقيقتها كعلاقات سيطرة فإنها بذلك تكون قد**

---

1. عبد الله محمد عبد الرحمان، علم اجتماع التربية الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص ص 220 221.

دعمت قوة سيطرتها في المجتمع بقوة ثقافية إضافية خاصة أكثر مشروعية في أعين جميع القوى الاجتماعية في المجتمع.

وهذه الانسقة الرمزية البانية للثقافة والواقع الاجتماعي وهي بمثابة رأسمال قابل للتحول في سوق الاقتصاد، وهي موضوع صراع بين القوى الاجتماعية المختلفة، وتهدف كل قوة اجتماعية في صراعها الاجتماعي إلى السيطرة على حقل الثقافة وإنتاج وتوزيع رأس المال الثقافي لكي تفرض به قوتها الاجتماعية وتحمي به مصالحها الاقتصادية. [1]

2) **الخصائص النفسية**: وهي نسق من الميول والنزعات القوية التي يمكن أن ينتقل من فرد إلى آخر في شكل بنى مبنية، لتصبح قوى بانية حينما تستخدم كمبادئ لإنتاج وبناء التصورات والممارسات، التي يمكن أن تكون موضوعية ومنتظمة ودائمة ودون أن تكون في حال من الأحوال نتاج طاعة لقانون أو قاعدة ما، بمعنى أن تتم التصورات والممارسات بطريقة موضوعية ومتواترة وبصورة تلقائية وعفوية.

وبهذا يفسر كيف تتجسد العلاقة الجدلية بين البنى البانية والبنى المبنية في صورة ممارسات وتصورات تحافظ على العلاقات القائمة وتعيد إنتاجها. [2]

---

1. شبل بدران، حسن البيلاوي، علم اجتماع التربية الجديد، دار المعرفة الجامعية، ط3، 2009، ص ص 106 108.

2. نفس المرجع، ص 110

5 - المدخل المنهجي الإسلامي

يتشــبع علم الاجتماع من بين العلوم الاجتماعية بالعقائد والمذاهب والفلســفات المبثوثة داخل الأبحاث النظرية والتطبيقية التي تعكس الخلفيات العقائدية والفكرية لكتابها وواضعيها، وهذا يخالف الظن الشائع والسمعة الرائجة عن هذا العلم حيث يظن انه يقدم نظريات وآراء ونتائج علمية بعيدة عن الشــكوك والأوهام، من نتاج العلم وحده، وهذا ما جعل الكثير من أبناء المســلمين يقبل ما فيه من أفكار ونظريات وآراء على أنها حقائق علمية يجب التســليم بها حتى لو عارضت مبادئ دينهم، فأصبح علم الاجتماع إشكالية تبحث عن حل.

ويمكن تلخيص علم الاجتماع في وضعه الراهن في أمرين:

الأول: أن هذا العلم يحمل مع حقائقه العلمية وفائدته الملموســة، عقائد وأفكار ومبادئ واضعيه وان هذا العلم منذ دخوله إلى العالم الإسلامي كان يعزز من حالة فقدان الهوية التي تعني التخلي عن الإســلام كمبدأ عام يحكم المجتمعات الإســلامية، وذلك بنقل الثقافة والعادات والتقاليد الغربية إلى مجتمعاتنا بحجة ودعوى التقدم والرقي والتفتح على الآخر.

الثاني: أن نظريات هذا العلم وضعت لفهم مشاكل وقضايا خاصة بالغرب لا يمكن تعميمها على المشاكل المماثلة في العالم الإسلامي ولا تؤدي إلى فهم واقع المجتمعات الإســلامية، وذلك راجع إلى الاختلاف في الخلفية التاريخية والثقافية والانتماء الديني والتركيبة الاجتماعية لكلا المجتمعين فالأول قد بني على ثقافة العقد الاجتماعي والمســألة الهوبزية التي تنطلق من المصلحة المادية أما المجتمع المســلم

فقد بني على ثقافة التعاون وتلبية لفكرة الدين التي تبني مجتمعا ينطلق في كل تفاعلاته من وحي السماء.

وقد طرحت هذه الإشكالية على بساط البحث من قبل كثير من علماء الاجتماع في العالم العربي والعالم الإسلامي وكانت النتيجة اتجاهين مختلفين أحدهما: ينادي بعلم اجتماع عربي قومي لم تحدد ملامحه وهذا الاتجاه لم يلتفت كثيرا إلى المشكلة الأولى وهي تشبع علم الاجتماع بالعقائد والأفكار التي تصطدم بالإسلام، وإنما يركز ويهتم بالمشكلة الثانية وهي إن نظريات علم الاجتماع أخفقت في فهم المشكلات المطروحة في العالم الإسلامي.

وثانيهما: ينادي بعلم اجتماع إسلامي أو علم اجتماع المجتمعات الإسلامية وهو اتجاه لا يخلو من ملاحظات العالم المتخصص والتي تسهل الجواب عنها ولكن لا يهمل أيا من المشكلتين السابقتين [1].

وفي هذا السياق نجد الدكتور باقادر وفيما يبدو أنها ورقة علمية له عنونها بحاجة طالب العلم الشرعي للعلوم الاجتماعية يقول في معرض حديثه: قد تقولون لقد سعينا لذلك من خلال التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، وأنا أو ضح أن هذه خطوة جيدة في الطريق المرتجى، لكن ما المقصود بالأسلم والتأصيل الإسلامي، هل ستقدم تصورات ومفاهيم عملية يشاركني الجميع في تقبلها ومن ثم الاحتكام لها بوصفها رؤى علمية موضوعية، أم سيتحول الأمر لمجرد حديث مع الذات ولها ومجرد مواعظ أخلاقية غير جديرة باحترام الآخرين؟

---

1. منصور زويدي المطيري الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع الدواعي والإمكان، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، قطر، ط 1، ربيع الأول 1413 ص ص 21 22.

ويقول كذلك :عليّ أن أتوقف، لعلكم تطلبون فهم الكيفية التي يمكن أن يتعلم منها طالب العلم الشــرعي الكثير عن علم الاجتماع ليســتفيد منه في فهم الحياة الاجتماعية اليوم مما سيمكنه من إنزال الحكم الشرعي على الواقع بشكل أفضل، وكذلك حتى يصبح أكثر قدرة للدفاع عن الإسلام باستخدام العلوم الحديثة؟ ![1]

إن تطور ومجتمعاتنا الإســلامية يحتاج من علمائنا الاجتماعيين المســلمين إلى دراســات إبداعية، يمكن انتظارها لو تخطى هؤلاء مرحلة اســتيراد المفاهيم الاجتماعية الجاهزة بغض النظر عن حساسية كلمة الاستيراد هذه.

إن المعايير الأوروبية للتطور لا يمكن أن تصلح لدراسة سبل التطور المطموح إليها في دول العالم الثالث فهذه الســبل لا تســتند في اختيارها على القرار الســياســي فحســب بل على واقع اجتماعي اقتصــادي مختلف اشــد الاختلاف عن مشــاكل الإنتاج الرأســمالي وعن طبيعة العلاقات التصــارعية بين الطبقات الاجتماعية الأوروبية، ولذلك يخطئ علماء الاجتماع المسلمون في نقل المفاهيم المتبلورة حرفيا دون ملاحظة هذه الظروف والفروق وأخذها بعين الاعتبار.

1. (من ورقة للدكتور باقادر بعنوان حاجة طالب العلم الشرعي نشر الورقة مركز نوار للبحوث والدراسات من خلال هذا الموقعhttp: //Bnouar. jeeran. com

إن المدارس الاجتماعية الأوروبية لم تبد أبدا اهتماما قط بشعوبنا إلا من زاوية كونها شعوبا بدائية أو متخلفة وذلك في خدمة استغلالها من المستعمرين وإبادتها كما حدث ذلك مرارا. [1].

1.5. دعائم التشريع في الإسلام: لكل تشريع دعائم يستند عليها بقاؤه وعدمه وتعلق الناس به وانصرافهم عنه، والواضح أن التشريع الإسلامي يجذب الناس إليه بسرعة هائلة فهم يتقبلونه باطمئنان وانقياد، وما ذلك إلا لأنه يخاطب العقل ويحث على العمل في الحياة ويساير الفطرة السليمة (**فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم**) كما انه يرمي إلى التسامح والمساواة والحرية، فالمساواة ترجع أهم مظاهرها إلى ثلاثة أنواع، أحدها المساواة في القيمة الإنسانية المشتركة، وثانيها المساواة أمام القانون وفي الحقوق العامة السياسية وغيرها، وثالثها المساواة في الشؤون الاقتصادية، كما يرمي ذلك إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتنحصر الدعائم التي ينبني عليها التشريع الإسلامي فيما [2]يلي:

أ) **نفي الحرج:** وقد راعى المشرع من ذلك التيسير على الناس ورفع الحرج عنهم، فجاءت تكاليف الإسلام في حدود الاستطاعة البشرية، ومظهر رفع الحرج أن أصول التشريع الموحى بها والمستقرة ليس فيها ما يضيق به صدور الناس ويصعب عليهم أداؤها. وليس معنى ذلك انتفاء أصل المشقة لان التكليف لا

---

1. ابو المجد احمد، علم الاجتماع الإسلامي (بين الحاجة والإمكان)، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، ط1، 1982، ص ص 22 23.

2 .عبد الله الخريجي، علم الاجتماع الديني، رامتان، جدة، السعودية، 1990، ط 2، ص ص 349 350.

يتحقق إلا بشيء منها، إذ فيه تحكم في النفس وحد من جموحها، ولذلك فان التشريع الإسلامي خلا من الحرج والمشقة الزائدة التي تضيق بها الصدور وتستنفذ الجهد.

ومن خلال هذه نلاحظ أن المشرع الإسلامي يسعى دائما إلى تخفيف أعباء العبادة على المتبع ضمانا لاستمرارية أداء التكاليف وعدم الشعور بالثقل، كما أنها تكون رسالة جذب لغير المنتمين له كأسلوب من أساليب الدعاية الفعلية.

ب) **قلة التكاليف:** اقتصر التشريع الإسلامي في التكاليف حتى لا يرهق الناس ولا يشق عليهم وحتى تبقى أمورهم تستنتج إحكاما من القواعد العامة مع مراعاة الناس وتخفيفا عليهم.

ت) **التدرج في الإحكام:** ظهر الإسلام بين العرب وقد تأصلت في نفوسهم غرائز ليس من السهل اقتلاعها مرة وأحدة وإلا لتحقق الحرج من أجل هذا جاءا لقرآن على مراحل وجاءت أحكامه التكليفية متتابعة بعد حدوث أسباب تقتضيها حتى يكون ذلك أو قع في النفس وأقرب إلى الانقياد وتهيأ النفس بالحكم السابق لتلقي الحكم اللاحق فيسهل عليها الأمر.

ث) **مسايرة مصالح الناس:** عمد التشريع إلى أن تساير أحكامه مصالح الناس في المجتمع، ولذلك فانه شرع بعض الأحكام ثم نسخها عندما اقتضت الضرورة ذلك.[1]

فالحكم الناسخ يحقق غرض الشارع بعد أن هيأ الناس ووطد نفوسهم، ومع هذا قد يكون النسخ من الأخف إلى الأشد، وقد يكون العكس وهو في كلتا الحالتين يراعي

---

1 .عبد الله الخريجي، مرجع سابق، ص 351 ص 354.

مصالح الناس أثناء التشريع، والنسخ وان كان قد انتهى بنهاية الوحي فان الشارع علل الأحكام لكي يرشدنا إلى أن الحكم يتبع علته ويتغير بتغيرها في أكثر الأحيان لاسيما في مواضيع المعاملات التي كثيرا ما تتأثر باختلاف المكان وتغير الزمان. ومراعاة مصالح الناس في نواحي معاملاتهم أمر هام في التشريع الإسلامي.

ج) **تحقيق العدالة:** يعتبر الناس في نظر الشريعة سواء لا تفاضل بينهم نتيجة الحسب أو النسب أو المال أو الجاه أو الجنس أو النوع، ليس فيها حاكم يحميه السلطان أو القوة متى ارتكب ظلما وتحميه الأوضاع متى ارتكب إثما، بل الجميع سواء أمام الله[1]،

2.5. أهم المبادئ التي جاء بها التشريع الإسلامي لتنظيم الحياة الاجتماعية

جاء الدين الإسلامي ليصحح الكثير من الأخطاء التي كانت منتشرة في الزمن الذي سبقه سواء كانت هذه الأخطاء على مستوى الاعتقاد أو العبادة أو المعاملات ومن هذا المنطلق كان لزاما على التشريع الإسلامي أن يتضمن المبادئ التالية:

أ) مبدأ التوحيد الذي يجمع بين الناس نحو اله وأحد.

ب) مبدأ الاتصال المباشر بالله دون وساطة أو سيطرة روحية.

ت) مبدأ التخاطب مع العقل: جعل التشـــريع الإســـلامي من العقول مناطا للتكليف لاسيما فيما يتعلق بأمور الدنيا وبمعرفة الخالق، ولما كان العلم دعامة تزيد من نور العقل دعا الله إليه وحث الناس على التزود منه.

ث) مبدأ إحاطة العقيدة بالأخلاق الفاضلة المهذبة للنفس.

1 .عبد الله الخريجي، مرجع سابق، ص 356.

ج) مبدأ جعل التكاليف الشـرعية لإصـلاح الروح وتطهيرها، وليس لإرهاق البدن وتسخيره.

ح) مبدأ التآخي بين الدين والدنيا في التشريع.

خ) مبدأ الشورى: جعلت الشورى أساس الحكم في الإسلام في وقت كان فيه الحكام هم أصحاب السلطة منفردين.

د) مبدأ التسامح وهو أسمى وأعم بما يعرف اليوم بمبدأ التعايش السلمي، وحينما يدعوا الإسـلام إلى التسـامح فانه يدعو إليه في عزة وإباء دون أن يعطي هذا التسامح سلطانا لأحد أو ولاية.

ذ) مبدأ الحرية: وقد نادى الإسـلام بالمحافظة على الحرية الفردية دون المساس بالصالح العام سواء فيما يتعلق بالعقائد أو في مطلق الرأي.

ر) مبدأ التكافل الاجتماعي: جعل الإسـلام الزكاة حقا للفقير في مال الغني وهي ليسـت فضـلا وامتنانا، فلا تعاظم ولا اسـتجداء لها وكفل نفقة الفقيـر العجز عن الكسـب وجعلها في بيت مال المسـلمين دون اعتبار لديانة الفقير.

هذه المبادئ تنبئ عن وقوة أركانه وصـلاحيته للرجوع إليه والاحتكام إليه في كل زمان ومكان بين جميع الناس.[1]

وتعتبر هذه المبادئ من أهم عوامل صـمود الأمة الإسـلامية كمجتمع تحكمه ضـوابط اجتماعية محددة، أمام عوامل التغير والغزو الثقافي والاندثار الاجتماعي، إذ بقيت كل هذه الثوابت تحافظ للمجتمع المسـلم

1 .عبد الله الرجيحي، مرجع سابق، ص 356 359.

عن مكانته التاريخية وهويته الثقافية، بل وتجذب إليه في الكثير من الأحيان العديد من الأفراد الذين يدخلون في ديانة هذا المجتمع عن طواعية.

3.5. القيم الثقافية الموجهة للبراد يغم العلمي الإسلامي

بعد أن تكلمنا عن أهم المبادئ التي جاءت بها الشريعة الإسلامية لتنظيم الحياة الاجتماعية واهم الدعائم التي ترتكز عليها نحاول أن نتكلم عن أهم القيم الثقافية التي توجه البراديغم العلمي الإسلامي والتي يحول العلماء المسلمون أن يجعلوا منها منطلقات إرشادية يستدلون بها في نعاملهم مع أهم الظواهر العلمية والاجتماعية.

1.3.5. تأسيس نظرية العلم:

أ) البناء الداخلي

القول في البناء الداخلي للبراديغم العلمي الإسلامي يقتضي القبول بمسلمتين يمكن صوغهما على النحو التالي:

إن النسق العلمي الإسلامي شكل ثورة على البراديغم العلمي اليوناني الذي هيمنت عليه الفلسفة اليونانية التي تزعمها المعلم الأول (أرسطو). وشملت هذه الثورة كلا من الأسس المعرفية، والطرائق المنهجية. وعلى الرغم من التقدير الخاص الذي حظي به الأعلام القدماء أمثال أو قليدس وأبقراط وجالينوس وبطليموس، فقد توجهت شكوك كثيرة لكثير من مصادراتهم وآرائهم ومناهجهم من قبل علماء الإسلام.

إذا سلم هذا، فالسؤال الوارد على المسلمتين هو: كيف نفسر وجود ثورة علمية في العالم الإسلامي القديم، رغم أن المدينة الإسلامية بنيت على أسس دينية؟ بعبارة أخرى: ما هو وضع المعرفة العلمية في الفترة المبكرة لظهور الإسلام وتأسيس الدولة النبوية ودولة الخلافة؟ [1]

لقد ربط العلم عند المسلمين بالاعتقاد من جهة، والدليل الصادق الجازم المطابق للواقع من جهة أخرى، قد شكل معلما من معالم الثورة على السياج البراديغمي اليوناني، وفتح النقاش في نظرية العلم في اتجاهين:

ت) ــ **الأسس الاستدلالية للعلم:** من تحليل وتركيب، واستنباط واستقراء وتجريب وتطوير أشكال البرهنة من الشكل الصوري الأرسطي والشكل الرياضي الأوقليدي إلى الشكل التداولي الحجاجي. وهذا أغنى مناهج البحث التجريبي في فترة مبكرة من تاريخ العلوم الإسلامية.

ث) **الأسس الاعتقادية والأخلاقية للعلم:** كان للعلماء تقدير خاص للشريعة، يختلف جذريا عن نظرة الفلاسفة التي جعلتها خطابا من الدرجة الثالثة من حيث قيمتها العلمية، بعد البرهان والجدل.

---

1 .إدريس نغش الجابري، البراديغم العلمي الإسلامي.. قيمه الثقافية وخصائصه الابستيمية، **تندرج هذه الدراسة ضمن أعمال الندوة العلمية التي نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء في موضوع: "العلوم الإسلامية: أزمة منهج أم أزمة تنزيل؟ " التي أقيمت يومي14–13 ربيع الثاني1431هـ الموافق 31–30 مارس2010 م، أكادير-المملكة المغربية**

مما أدى إلى عدة نتائج من أهمها اثنتان على الأقل:

أو لا: تحويل جوهري في النظرة إلى العلوم وأصنافها ومراتبها ومعايير دراسة العلاقات بينها. فبينما كانت لائحة العلوم الموروثة في تصنيفات البراديغم اليوناني للعلوم لا تتعدى البضعة عشر، نجدها تتجاوز الثلاثمائة علم في البناء العلمي الجديد للعلوم عند المسلمين.

ثانيا: تحويل وجهة العلم الإسلامي من الاستغراق في البحوث الميتافيزيقية والكلام اللاهوتي الذي كان يعرف بجليل الكلام، إلى الاهتمام بالكلام العلمي في الكونيات والإنسانيات.

الدوافع الاجتماعية والثقافية لتطور العلوم لدى المسلمين: وتتجلى باختصار في اندفاع المسلمين إلى إنشاء حركة علمية واسعة تلبي الحاجات الاجتماعية المرتبطة بالصحة والتربية والتعليم ونحو ذلك. وقد ظهر ذلك في 5 أسباب:

1) ميلاد المؤسسة التعليمية التي اتخذت عدة أشكال.
2) تطور علم المناهج La méthodologie لدى المسلمين؛ لأنهم احتاجوا إليه لفهم النصوص الدينية، ولحل المشكلات العديدة -التي كانت تسمى النوازل الفقهية- فنشأت عدة علوم ذات طابع منهجي.
3) تطور علم اللغة بصفة عامة، وعلم المعجم بصفة خاصة، حيث ارتبط بالرياضيات منذ القرن (2هـ/8م) على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي (توفي 786م). [1]

---

1 .إدريس نغش الجابري، لباراديغم العلمي الإسلامي.. قيمه الثقافية وخصائصه الإبستيمية،
تندرج هذه الدراسة ضمن أعمال الندوة العلمية التي نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء في

4) التطور التقني والعلمي الدقيق.

5) نشوء الجدل العلمي في القضايا الدينية منذ بداية العصر الأموي، سواء بين المذاهب العقدية الإسلامية، أو بين المسلمين وغيرهم من أصحاب العقائد والديانات الأخرى، وبالطبع في جو هذا الجدال أثيرت قضايا فلسفية وعلمية مثل طبيعة المادة ومكوناتها، والزمان والمكان والحركة والخلق والعقل والجسم.

4.5. الخصائص المعرفية للنسق العلمي الإسلامي

توجد مداخل عديدة لحصر الخصائص المعرفية للبراديغمات العلمية التي استوعبها النسق المعرفي الإسلامي، ويمكن أن نختار منها مدخلين أراهما أساسيين لاستيعاب طبيعة العقلانية العلمية التي أنتجت هذا التراث العلمي الضخم في تاريخ المسلمين. وهما: التكاملية والانفتاح.

أ. التكاملية

فقد كان التكامل العلمي -منذ المراحل الأولى لنشأة الفكر العلمي وتطوره في الإسلام- جزءا من التكوين البيداغوجي للمتعلم. فالعلوم الطبيعية والتعاليمية؛ (أي الرياضية) لم تكن تقل أهمية "شرعية" عن وضعية العلوم "الشرعية" ذاتها[1]

موضــوع: "العلوم الإســلامية: أزمة منهج أم أزمة تنـــزيل؟ " التي أقيمت يومي14–13 ربيع الثاني 1431هـ الموافق 31–30 مارس2010 م، أكادير-المملكة المغربية.

1 .إدريس نغش الجابري، البراديغم العلمي الإسلامي.. قيمه الثقافية وخصائصه الابستيمية، **تندرج هذه الدراسة ضمن أعمال الندوة العلمية التي نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء في**
موضــوع: "العلوم الإســلامية: أزمة منهج أم أزمة تنـــزيل؟ " التي أقيمت يومي14–13 ربيع الثاني 1431هـ الموافق 31–30 مارس2010 م، أكادير-المملكة المغربية.

يترتب على ذلك أمران:

الأول: "وحدة العقل والنقل

و **الثاني**: "قدسية الحقيقة العلمية من قدسية الدين نفسه": وهي قدسية تبلورت من جهتين: (أحداهما) جهة الاشتراك في قيمة العلم؛ إذ يقع طلب العلم، كيفما كان وحيثما وجد، في أعلى درجات العبادة الدينية. فمحراب البحث العلمي لا يقل قدسية عن محراب العبادة الدينية. و (الثانية) جهة الوسيلة المنهجية؛ إذ دفعت قدسية الأحاديث النبوية علماء الإسلام إلي ضبط المنهجية العلمية في البحث والتنقيب، رواية ودراية، نقلا ونقدا، داخل حقل علوم الحديث وخارجه. لقد عُممت هذه القدسية على الحقيقة العلمية حيث كانت وكيفما كانت.

ب. **العقل النقدي المنفتح**

لما كان هذا العلم الناشئ يعبر عن عقلانية جهوية خاصة يمليها المجال التداولي الإسلامي، فإن نقل المعارف العلمية الأجنبية كان مصحوبا بالشك والنقد، في المجالات الرياضية والطبيعية. وأما في المجالات الثقافية الموصولة بالفلسفة النظرية فكان الشك رفضا، والنقد نقضا. لقد كان الحوار العلمي نقديا لا نقليا. لذلك يمكن حصر خاصية الانفتاح في أربع سمات:

1. **النقد**: ويتجلى ذلك في ما يعرف بظاهرة الشكوك على الآخرين
2. . **الانفتاح المنهجي**: الذي لا يغلق العقل على نموذج منهجي
3. . **النسبية**: وعلامتها الاعتراف بالنقصان الطبيعي

4. . **الالتزام بأخلاق البحث العلمي:** ويتجلى ذلك في مظاهر عديدة من أهمها:

أو لا: الوعي بالعوائق الذاتية

ثانيا: دقة النقول: وذلك بنقد مصادر المعرفة العلمية سندا ومتنا.

ثالثا: حماية لغات الآخرين: فهؤلاء العلماء حفظوا مصطلحات غيرهم من الضياع.[1]

5. 5. الفعل الإنساني في الفكر الإسلامي: انطلق الفكر الإسلامي في معالجة قضية الفعل الإنساني انطلاقة مختلفة عن انطلاقة الفكر السوسيولوجي الغربي، إذ ينطلق الأخير من أساس اجتماعي رغم أخذه بالجوانب الدينية على الصعيد القيمي، فالفكر الإسلامي بني على أساس (ديني، إلهي) إن جاز التعبير، مع عدم إهماله الجانب الاجتماعي فقد انطلقت فكرة الاهتمام بفعل الإنسان الاجتماعي من عقيدة القضاء والقدر، إذ طرح التساؤل عما إذا كان الإنسان مسئولا عن أفعاله أو انه غير قادر على التصرف من دون قوة إلهية دافعة. [2]

وإذا أردنا التوليف بينما ذكرناه سابقا عن الفعل الاجتماعي الغربي والفعل الإسلامي الذي يصوره القرآن فإننا سنقول بما أو رده **نوري عقيل** في كتابه **الفعل الاجتماعي دراسة تحليلية من منظور إسلامي** حيث يقول: يملي علينا الفهم

---

1 .إدريس نغش الجابري، البراديغم العلمي الإسلامي.. قيمه الثقافية وخصائصه الإبستيمية، **تندرج هذه الدراسة ضمن أعمال الندوة العلمية التي نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء في موضوع: "العلوم الإسلامية: أزمة منهج أم أزمة تنزيل؟ " التي أقيمت يومي14-13 ربيع الثاني1431هـ الموافق 31-30 مارس2010 م، أكادير-المملكة المغربية**

2 .عقيل نوري محمد، الفعل الاجتماعي دراسة تحليلية من منظور إسلامي، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، 2002، ص 36

القرآني للفعل الاجتماعي والصورة الواقعية للفعل حالة الفصل بين الفعل القرآني والفل الاجتماعي والى كون القرآن منظومة قيمية للأفعال في حين يحمل الفل الاجتماعي الصفة المعيارية لأنه يقع تحت ضغوط المواقف الحياتية التي يمر بها الفاعل وضغط التركيب النفسي للفاعل.

إذن كيف يمكن وصل الفعل القرآني بالفعل الاجتماعي؟ وهل يمكن سحب الفعل القرآني إلى ميدان الفعل الاجتماعي أم نسحب الفعل الاجتماعي إلى الحيز القرآني لكي نعيد لكي نعيد صياغته على النحو الذي يلاءم النموذج القرآني؟ .

لا شك أن سحب الفعل القرآني إلى ميدان الفعل الاجتماعي أمر مستبعد وذلك لان المعيارية هي التي تتبع القيمية وليس العكس كما أن الحركة هي التي تتبع الضبط وليس العكس، وهكذا لا يمكننا أن نعيد تركيب الفعل القرآني اجتماعيا لأننا قد نقضي على القيمية في مثل هذه الحال، وهذا يوجب علينا أن نعيد تركيب الفعل الاجتماعي قرآنيا وبذلك تحفظ قيمية الفعل القرآني ويدفع الفعل الاجتماعي أيضا نحو القيمية، ولكن ما هو الأساس الذي يمكننا من ذلك؟ إن الأساس الذي يجب أن نعتمد عليه هو مؤشرات بناء الفعل الاجتماعي نفسه (القيم والمعايير والتنظيم والممكنات) وبعد نحاول أن نغطي كل مؤشر من هذه المؤشرات بصياغة قرآنية تتلاءم قيمية الفعل المركب الجديد، اعتمادا على صيغة الوصل بين ما هو قرآني وما هو اجتماعي، ومن خلال مزج المفاهيم القرآنية بالمؤشرات الأساسية للفعل الاجتماعي توصلنا إلى فعل جديد اصطلحنا على تسميته الفعل القرآني الاجتماعي وسنقوم بتفصيل مميزات هذا الفعل في العنصر القادم وهو ما يمثل في حقيقته صورة مثالية قرآنية اجتماعية لما يجب أن يكون عليه السلوك أي هو وفق معايير

معطيات فيبر نموذج مثالي خالص يصلح لان يكون محكما تقارن معه الأفعال الاجتماعية الأخرى [1].

1.5.5. بنية الفعل القرآني الاجتماعي:

وتتركب بنية الفعل الاجتماعي القرآني من أربعة مكونات هي كالتالي:

أ) **القيم:** إذا كانت القيم تعتبر على الصعيد الاجتماعي هي الموجه لسلوك الفاعلين بوصفها هدفا يعمل على المحافظة على النمط الثقافي للمجتمع، فما الذي يقابلها على صعيد الفعل القرآني الاجتماعي؟

ولنطرح السؤال بصيغة أدق وأوضح، ما هو هدف الإنسان المسلم وكيف يمكن تحديده قرآنيا؟ وما هو الهدف (القيمة) الذي يمكن أن يحافظ على النمط القرآني اجتماعيا؟ إن الهدف الذي يسعى إليه الفاعل المسلم هو (رضا الله) أو بتعبير أخر (الجنة أو محبة الله أو طاعة الله) وكل ذلك له معنى ومغزى وأحد يتعلق بدفع الإنسان نحو غاية غيبية يحلم بالفوز بها ولقد عبر القرآن عن هذه القيمة بالكثير من الآيات. [2]، والسؤال لماذا كان الهدف غيبيا في الفعل القرآني الاجتماعي؟ إن مثل هذه الغيبية في الهدف من شأنها أن تديم حالة التواصل في هذا الفعل محافظة بذلك على النمط القرآني الاجتماعي الذي يسعى القرآن في صياغته لعملية التفاعل الاجتماعي، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى، نجد أن الهدف المستقبلي نفسه لا يخضع لمسألة آنية أو مستقبلية محددة بزمن يعرفه الإنسان.

---

1. عقيل نوري محمد، مرجع سابق، ص ص 74 75.

2 .نفس المرجع، ص 82.

ولا شك أن لهذه الغاية أهمية دنيوية تتعلق بالمحافظة على النمط القرآني الاجتماعي بحيث تستقر تركيبة هذا الفعل من خلال توجيهها نحو غاية موحدة لدى كل الفاعلين افتراضيا وبذلك تتحقق السعادة البشرية الدنيوية قرآنيا واجتماعيا.

إذن الحياة في القرآن ليست عملية انقطاع صوفي يومي لتحقيق يوتوبيا اجتماعية ليس لها جذور في عالم الواقع فالقرآن يخاطبنا كبشر، مؤكدا بذلك على حاجة الإنسان إلى الدنيوية ثم يستدرك قاطعا تلك الدنيوية من غير إبطال لها بالأخروية فيقول (**المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك وخير أملا**) [1]

ب) **المعايير:** يمكن أن نعرف المعيار بإيجاز بأنه وسيلة ثقافية متفق عليها ثقافيا للوصول إلى غاية أو قيمة اجتماعية ثقافية.

وبما أننا اتفقنا على أن القيمة الأساسية في الفعل القرآني الاجتماعي هي الآخرة (رضا الله، الجنة) فما هو المعيار المناسب للوصول إلى هذه القيمة؟ وهل يمكن تأشيره قرآنيا؟

إن المعايير الأساسية في القرآن التي يمكن من خلالها الوصول إلى التكامل الدنيوي والخلاص الأخروي هي: 1ـ الإيمان، 2ـ العمل الصالح، ويمكننا أنها العقيدة والشريعة حيث يقابل الإيمان العقيدة ويقابل العمل الصالح الشريعة ويمكننا نؤشر هذه المعايير قرآنيا. ومن الواضح أن القرآن كان أكثر وضوحا من الأديان السماوية الأخرى في طرحها على نحو مباشر وتفصيلي وهذا ما جعل المفكرين

1 .عقيل نوري محمد، مرجع سابق، ص 84.

ينتبهون إلى ذلك فيشير توماس إلى اتزان الالتزامات التي جاء بها الدين الإسلامي تنقسم إلى قسمين هما: ء

الأول الالتزامات الروحية والعقلية التي تتضمن المواقف والاتجاهات الاعتقادية التي يطلبها الله ممن يعتقدون به.

الثاني: هو فهو التزام اجتماعي وقانوني يتضمن قواعد السلوك وأحكام القانون التي تمثل اتجاهات روحية مناسبة يضعونها في حيز التطبيق اليومي.[1]

وورد مثل هذا التشخيص بصورة أكثر دقة في كتاب The World of Islam إذ جاء فيه أن علماء المسلمين يقسمون القانون إلى جزأين أساسيين، الأول مختص بعقول وقلوب المؤمنين يكون مختصا بالعقائد والأخلاق الفردية، والأخر خاص بالأفعال الخارجية المتعلقة بتفاعل الإنسان مع الله والإنسان الأخر ويكون العبادة وبالقانون المدني والجنائي والدستوري والهدف من كليهما هو تعريف نسق الواجبات، لكي يستطيع المؤمن أن يحيا حياة قويمة في هذا العالم ويعد نفسه للآخرة

ونحاول الآن أن نتكلم عن المعايير التي يقو م عليها الفعل القرآني الاجتماعي

1) **الإيمانfaith:** وتختصر العقيدة الإسلامية في ثلاث دعائم يجب على العقلان يسلم بها هي (الوحدانية، الإيمان بالغيب، الإيمان بالرسل أجمعين) وقد بين لنا القرآن أهميةالإيمان وضرورة ترسيخه في نفس المسلم لأنه متصل بكل جوانب الحياة لأنك عندما تؤمن ويثبت إيمانك ستشعر بالقدرة على العمل

1 .عقيل نوري محمد، مرجع سابق، ص 86.

بما يقتضيه منك هذا الإيمان، فالأخير إذن حالة اعتقاديه تدفع بالإنسان نحو الغاية التي يؤمن بها ويسعى إليها.

ويمكن أن نلخص وظيفة الإيمان في المجتمع المسلم بما ذكره الدكتور مصطفى كمال وصفي حيث حصرها في نقاط أربعة:

1) إنشاء مشروعية عليا تخضع لها الأمة الإسلامية وتمتاز هذه المشروعية يما يأتي:
   أ) مشروعية عليا ثابتة فوق النصوص الوقتية والوسائل والأوضاع.
   ب) مشروعية ثابتة مستقرة مع مرونة معينة في التطبيق.
   ت) إقرارها العدل والسلام وتصفيتها للظلم والصراعات على طول قاعدة العلاقات الإنسانية بسبب علو مثلها.
2) تضامن المجتمع الإسلامي فالفكر يتوحد بوحدة الإيمان ووحدة الفكر تولد الوسائل سواء في ظل العادات أما لإحكام الشرعية ويؤدي ذلك إلى التوحد في الطريقة والمنهج الخاص بالعمل.
3) إنشـــاء ضـــمير ذاتي لدى كل مســـلم تكون بموجبه إحكام الله مقياس الحظر والإباحة.
4) قوة الإيمان تولد قوة الدافع نحو العمل.[1]

2) **العمل الصالح، الشريعة:** ويمكننا أن نؤطر التشريع **الإ**سلامي في توجهين: أو لهما **العبادات** تنظيم وهي علاقة الإنســـان بربه وهي تنظيم العلاقة بين الله والإنســـان وثانيهما **المعاملات** وهي علاقة الإنســـان بالأخر فردا أو جماعة أو

1 .عقيل نوري محمد، مرجع سابق، ص 88

مجتمعا وتكون هذه العلاقة مضبوطة بالتعاليم القرآنية ومن هنا فان الفعل القرآني الاجتماعي نفسه يمكن أن يحلل إلى مركبين **الفعل العباداتي** و**الفعل المعاملاتي** والتكامل بينهما يولد **الفعل القرآني الاجتماعي**، ويكون **الفعل العباداتي** فعل طقوسي يعبر عن تفاعل مباشر مع الله في حين يعبر **الفعل المعاملاتي** عن كل حالات التفاعل المضبوطة قرآنيا في مختلف الميادين الاجتماعية والاقتصادية والقانونية.[1]

3) **التنظيم:** يقوم التنظيم في المجتمع المسلم على أساس إلغاء الفروق بين أعضاء المجتمع لأنهم متكونون أساسا من أصل وأحد إذ جاء في التنزيل (يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس وأحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالا كثيرا ونساء) وكذلك وردت المساواة في قوله تعالى (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا)، ويستنتج محمد احمد مدني من الآية الأولى من سورة النساء ما يلي:

أ) إلغاء الفوارق الطبيعية.

ب) إلغاء الفوارق الدينية العرقية.

ت) إلغاء التفاوت في الوزن الاجتماعي بين الرجل والمرأة.[2]

1 .عقيل نوري محمد، مرجع سابق، ص 90

2 .نفس المرجع، ص 109

4) **الممكنات والتسهيلات الموقفية:**

لقد انتبه القرآن إلى عملية التســهيل الموقفي بأن جعل مرونة محددة في بعض المعايير لكي تســهل مهمة أداء الفاعل تبعا لظروف الفاعل والموقف وقد يحدث أحيانا إلغاء معيار في بعض المواقف إذا كان في ذلك معصــية، وعلى الرغم من ميل القرآن إلى تجاوز المعيار في بعض الآيات إلا انه لم يجعله ســبيلا لتجاوز التنظيم الذي تؤكده ضرورة الحفاظ على التماسك والدليل في ذلك قوله تعالى في حق الوالدين (**وان جاهداك على أن تشرك بي فلا تطعهما وقل لهما قولا كريما)** الأصل هو طاعة الوالدين لكن يسقط المعيار عند الأمر بالمعصية فالقاعدة تقول لا طاعة لمخلوق في معصــية الخالق، مع التأكيد على القول الكريم رغم عدم الطاعة في الشرك .

وفي الأخير يمكننا أن نبلور الفعل القرآني الاجتماعي في المخطط التالي:[1]

القيمة	**طاعة الله، رضا الله، الجنة، محبة الله**	ضبط قرآني
المعيار	1ـ العقيدة: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر **الشريعة** ← **عبادة** **الشريعة** ← **معاملة**	
التنظيم والأدوار	المجتمع الإسلامي بكل مؤسساته وادوار وأعضائه العضوية والوظيفية	حركة
التسهيلات الموقفية	إمكانية أداء الفعل وفقا للمعايير والقيم	

بعد أن تطرقنا إلى الفعل القرآني الاجتماعي ومكوناته والضوابط التي تضبط التشريع الإسلامي والمنطلقات الأساسية لعملية سن القوانين الاجتماعية في المجتمع المسلم ظهرت لنا إمكانية الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع، خاصة إذا عرفنا حاجة المجتمعات المسلمة اليوم لمثل هذه الصياغة، التي ترسم للباحث الاجتماعي المسلم الخطوط التي يدرس بها حالة المجتمع الإسلامي محاولا في ذلك التخلص من التبعية الفكرية للرؤى الغربية والشرقية التي لا يمكن أن تخدم الأهداف الأساسية التي يسعى الباحث والمجتمع معا لتحقيقها، ومن هذا المنطلق حاولنا أن نبني إطارا علميا معرفيا نبين فيه مفهوم وأهمية الصياغة الإسلامية

1 .عقيل نوري محمد، مرجع سابق، ص 118.

لعلم الاجتماع، وأهدافها، والمنطلقات الأساسية التي يجب أن ينطلق منها الباحث المسلم في السوسيولوجيا.

6.5. مفهوم الصياغة الإسلامية وأهميتها

إن الدعوة إلى صياغة علم الاجتماع صياغة إسلامية تعني أن هناك خللا يجب إن يسد ومشكلة تبحث عن حل وللوهلة الأولى يظن أن لهذه المشكلة علاقة بالأزمة التي يمر بها علم الاجتماع والتي ظهرت في علم الاجتماع الغربي والأمريكي بالذات وتردد صداها في العالم الإسلامي والثالث على وجه العموم وهي عجز علم الاجتماع عن تفسير الظواهر الاجتماعية وكذلك في خدمة الأيديولوجيات المختلفة سواء كانت رأسمالية أو اشتراكية.

وهو ما تبرزه أزمة الستينات في علم الاجتماع الغربي أو ما عبر عليه **جولدنز** في كتابه الأزمة القادمة في علم الاجتماع الغربي، حيث وصلت النظريات الكلية في علم الاجتماع إلى طريق مسدود في عملية تفسيرها للحالة الاجتماعية التي تعيشها المجتمعات الأوروبية بعد ظهور مشكلات المجتمع الصناعي والتجاذبات الطبقية التي شهدها المجتمع الرأسمالي، أضف إلى ذلك المجتمعات الناشئة التي ظهرت للوجود حديثة بعد ما عرف بحركات التحرر خاصة في خمسينيات وستينيات القرن الماضي، مما فرض على علماء الاجتماع إيجاد محاولات جديدة للتفسير ترمم وتتجاوز محاولات التفسير الكلاسيكية، وعلى الرغم مما تم ذكره من محاولات تجديد وأسباب تدعوا إلى ذلك إلا أن المدخل المنهجي الإسلامي لا علاقة له في الظهور بكل ما سبق ذكره.

ومع أن هذا يعد طرفا من الحقيقة، حيث فتحت هذه الأزمة أنظار بعض علماء لاجتماع على علم الاجتماع الإسلامي فوجدوا فيه بديلا للاتجاهات الغربية إلا أن الطرف الأكبر من الحقيقة لم يكن كذلك أو إنما كان مرتبطا بعملية البحث عن الذات التي كادت تضيع في خضم عمليات التغريب والاستلاب الثقافي وهذه العملية لا تخص علم الاجتماع فحسب وإنما تمتد لتشمل كافة الميادين، وقد كانت عملية البحث عن الذات نابعة من المجتمعات الإسلامية ووجدت حيث شعر أبناء المسلمين المخلصون بقيمة ما يحملون من قيم ومبادئ، وهنا نتساءل ما هي المشكلة التي أرقت علماء الاجتماع المسلمين؟ .

إن المشكلة الكبرى التي يحس بها عالم الاجتماع المسلم هي فساد التصورات الغربية التي تؤطر هذا العلم ذلك أن الإطار التصوري هو عبارة عن مجموعة من العلوم المنظمة والمنسقة وفقا للأفكار والمعتقدات والمظهر والظروف الاجتماعية والخبرات الفردية والجماعية لمواضيعها وخبراتها فقد نظم الغربيون ونسقوا علومهم تحت ضغط احتياجاتهم الفكرية والعلمية والإيديولوجية لذلك جاءت هذه العلوم محملة بتصورات الغربيين ومبادئهم[1]محاولة التعبير عن نظرتهم إلى المدخل المنهجي الذي يرون من خلاله الحياة لان المدخل المنهجي كما يعرفه الدكتور الطاهر إبراهيمي هو ذلك النموذج المتصور عن الكون والإنسان والتاريخ والمجتمع كما انه بناء منهجي لتحليل المجتمع وتقييد ظواهره في ضوء الافتراضات التي يتبناها ذلك النموذج التصوري وهناك مدخلين كبيرين في علم الاجتماع الغربي: المدخل الماركسي والمدخل الوضعي وكلاهما يتفقان على أساس هو محاولة إبعاد

1. منصور زويدي المطيري، مرجع سابق، ص ص 39 40.

الدين عن مسـرح تفسـير الحياة الاجتماعية وان كان بينهما خلاف في هذا الإبعاد، حيث يرى الوضـعيون أو البنـائيون الوظيفيون أن الـدين يمكن التعـامـل معـه كممـارســـات فرديـة ولا يمكن اعتمـاده كمحور يعتـد عليـه في تحليـل الحيـاة الاجتماعيـة، في حين يرى علمـاء الاجتمـاع الماركســيين انه يجب إزاحـة الـدين عن مشـــهـد الحيـاة الاجتمـاعيـة بـالكليـة لأنـه يعمـل عمـل الأفيون في بنـاء تصـــورات الشعوب والمجتمعات، وهذا ما وضع العلماء في إشكالية في عملية التفسير العلمي للظواهر فعلى الرغم من محـاولـة العلمـاء الغربيين إبعـاده عن مســرح الحيـاة الاجتماعيـة إلا أن حقيقـة الأمر الواقع تثبت انـه حـاضـــر في كل مشـــاهـد الحيـاة الاجتماعية مما جعل الكثير من العلماء ينفون إمكانية اســتبعاده كمحور تفســر من خلاله الأفعال الاجتماعية الســائدة داخل المجتمع وهذا ما يدفعنا البحث في جدليـة الـدين والمنهج العلمي في تفســير الحيـاة الاجتمـاعيـة، وهـل هنـاك تعـارض حقيقي بين الـدين والمنهج العلمي في عمليـة التفســير حتى يصـــبح فصـــلهما عن بعضهما أمر ضروري إلى هذا الحد.

7.5. جدلية الدين والمنهج العلمي

ومـا يمكن تـأكيـده هو إيجـاد العلاقـات الارتبـاطيـة الموجودة بين مكونـات الظـاهرة المدروســة وإنها بـالتوازي تعمل من الزاويـة التي يريـد من خلالهـا البـاحـث تفســير ووصـف تلك الظواهر ولا تعدو تلك الزاوية إلا أن تكون النسـق التي تسـلم بمبادئه ومسلماته وهكذا تجد تحليلات الباحث وتفسيراته موقعها ودلالاتها ضمن النسق الفكري، وهذا ما يقيض من شأن علم الاجتماع كعلم ويجعل من قوانينه مزقا من الرؤى والنظريـات المتصـــارعـة، غيـــر أن تلـك الحقيقـة هي جزء من طبيعتـه

الإبســتمولوجية كنظام من النظم العلمية، أن طبيعة موضــوع علم الاجتماع تعطي للتأويل حدود واسـعة على التحليلات السـوسـيولوجية فتضـفي عليها طابع معياري والباحث هو كائن اجتماعي يتأثر مثل غيره من الناس بمحيطه الاجتماعي والثقافي وهو ما يؤثر في تحديد رؤيته السوسيولوجية وهذا ما يفسر تعدد المداخل في الغرب وقصــورهـا في تقـديم نظرة متكـاملـة للواقع الاجتمـاعي بمعنى أن للإيديولوجية مكانة واثر ومثال ذلك ما قام به وهرمان هاروت وهو باحث أمريكي قام بالتحليل وجد أن دراســة الدين تمثل اهتمام مشــتركا بين جميع الباحثين، ويمكن الإشارة إلى أن الإسلام يحدد إطار متكامل وكفؤا لدراسة المجتمع والإنسان ويمكن اعتماد المدخل الإســلامي في الدراســة الســوســيولوجية وبناء التحاليل اســتنادا للأســس والمنطلقات التي تكون مكوناته وتعدد نظرته للكون والإنســان والمجتمع، إن مشـكل علم الاجتماع عندئذ أن التحليلات السـوسـيولوجية تحتاج إلى إطار ايجابي معرفي نقدي تاريخي متفتح وكامل[1].

وهـذا مـا يبين انـه يمكن للبـاحـث أن يجمع بين منطلقـاتـه الأيـديولوجيـة الـدينيـة والمنهج العلمي وهـذا مـا جـاءت بـه في البـدايـة النظريـة العقليـة التي حمـل لواءهـا المفكر الفرنســي إميل **دوركايم**، وملخص هـذه النظريـة هو أن المثقفين غـالبـا مـا يقعون في فخ ثنائية الفكر المثالي والفكر العلمي وهـذا مـا لا يجوز في رأي **دوركايم** حيث إن مصـدر الفلسـفة والعلوم معا هو الفكر الديني، فالانسجام التام يسـود

1. الطاهر إبراهيمي، محاضرات التحليل السـوسيولوجي للمؤسسات التربوية للسنة الثالثة علم اجتماع تربية، قسـم علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والإنسـانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2005ـ 2006، غير منشورة.

مبادئ العلم ومبادئ الفلســـفة في كنه الفكر الديني، وهذا يعني أن لا تعارض بين الطرح المثلي والطرح التجريبي لكون مصدرهما وأحدا ولكونهما وأحدا على الصعيد العقلي.

يقول **دوركايم** في هذا الخصـوص في كتاب أصـول الحياة الدينية: " انه لمن المعلوم أن أولى الأنظمة التصـورية للعالم والإنســان هي من أصـل ديني فكل ديانة هي في الوقت نفســه معرفة للكون ورؤيا لعالم الغيب، وإذا كانت الفلســفة والعلوم قد نشأت من الدين فمرد ذلك أن الدين قد شكل أو ل فلسفة وأول علم.

وعن تعسـفية الفصـل بين المعرفة والمعتقد يقول الباحث **دومينيك لوكور**: " منذ عصـر الأنوار، ونحن في أوروبا، نعيش خرافة قائلة تقوم أسـاسـا اعتبار أن التقدم العلمي يؤدي، لا محالة، إلى تراجع المعتقدات ذلك أن المعتقدات بحســب الرؤية الوضعية تمثل أشكال أولية أو ناقصة للمعرفة الإنسانية، ومع نضج التفكير يتم التخلي عن المعتقدات بالتدريج، في حين نجد أن مجتمعات تصل إلى درجة متقدمة من المعرفة ولكنها لم تتخلى عن معتقداتها وان كانت مشــبعة بالخرافة كما هو الشــأن عند اليهود واليابانيين، فما بالك إذا كان هذا الاعتقاد ناجم عن الوحي المنزل لهداية الناس. [1]

والتصور الإسلامي لا يعزل التفكير المثالي عن المعرفة العلمية بل يجمع بينهما وهو يختلف اختلافا جوهريا عن بقية التصــورات والأطر المذهبية الأخرى في نقاط كثيرة لعل أهمها: انه الهي المصــدر، لا يســتمد قضــاياه من لفكر البشــري وكونه يتســم بالتوازن بين الغيبي والواقعي وبين المثالي والمادي، كما انه يشــكل إطارا

---

1. نور الدين زمام، مرجع سابق، ص 140.

متكاملا يتضمن حقائق تتعلق بالكون المادي والحياة الأرضية، والوجود الإنساني، وهو يعالج هذه الجوانب، في ضوء تصوره الفريد، بطريقة متكاملة لا يمكن عزلها عن بعضها البعض.[1]

والتأصيل الإسلامي يعني انطلاق الدراسات الواقعية النظرية والمقارنة والتقويمية فيه من المنطلقات والثوابت الإسلامية مما يضمن استقامة وسلامة الفهم والتحليل والتفسير لظواهر الواقع الاجتماعي والثقافي والتاريخي كما يضمن كفاءة النماذج المعيارية التي تحتاجها الفروع التطبيقية لعلم الاجتماع مثل علم اجتماع التنمية والتربية والإدارة التي تحتاج إلى تصور شكل النظم والعلاقات والحقوق والواجبات والحريات والتنظيمات ومضامينها في المجتمع المستهدف أو المضمون الفكري والعقائدي القيمي والسلوكي للشخصيات المستهدفة، كل هذا فضلا عن أن الانطلاق من الثوابت الإسلامية يحقق أمرين أساسيين:

الأول: تحقيق الأهداف النهائية لعلم الاجتماع والمتمثلة في بناء مجتمع قوي ماديا واجتماعيا تقل فيه المشاكل والانحرافات إلى أدنى مستوى ممكن وتسير فيه التنمية بمعدلات متميزة، كل هذه الجوانب من القوة المادية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية إنما تنبثق من القوة الإيمانية التي يرتكز عليها التأصيل.

الثاني: التخلص من التبعية الفكرية والثقافية المتمثلة في تبني نظريات علم الاجتماع الغربي والشرقي التي صدرت في ظل مناخات وبيئات وظروف تاريخية وثقافية تختلف تماما عن مناخاتنا وظروفنا في العالم الإسلامي والعربي والتي

1. سلطان بلغيث، المعرفة بين انقسام الرؤى الغربية وتكامل الرؤية الإسلامية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، العدد 22، جوان2011، ص 35

صــــدرت أصـــلا لتحقيق الأهداف التي تخدم المجتمعات الغربية. وهي في هذا تعد نظريات ذات فائدة وصالحة علميا لخدمة المجتمعات والثقافات التي صدرت فيها ولكنها قد تصلح وقد لا تصلح في تفسير واقعنا الثقافي والاجتماعي وقد تتوافق وقد تتصـــادم مع واقعنا العقدي والديني وقد تســـاهم في تنمية مجتمعاتنا، كما قد تساهم في تعويق هذه التنمية وتكريس التخلف والتبعية لمجتمعات أخرى غير التي صدرت فيها[1].

ويجب في هذا الصدد أن نؤكد على حقائق:

أو لا: أن علوم المجتمع لســـت إفراز الفكر والعقل الغربي كما يدعي بعض مؤرخي العلم غير المنصفين، ولكنها إفراز الفكر المسلم وتحت تأثير وتوجيه القرآن والسنة وهذا ما يقرره بعض علماء الاجتماع المنصـــفين مثل **جورفيتش** عالم الاجتماع الشـهير [2]. وعالم الاجتماع الشـهير **جيمبلوفيتش** الذي قال: لقد أردنا أن ندلل على أن قبل أو جســـت كونت بل قبل فيكو الذي أراد الايطاليون أن يجعلوا منه أو ل اجتماعي أوروبي جاء مســـلم تقي، فدرس الظواهر الاجتماعية بعقل متزن واتى في هذا الموضوع أراء عميقة وان ما كتبه هو ما نسميه اليوم علم الاجتماع على الرغم من ذلك كله فان التأريخ لعلم الاجتماع يقف عند كونت الفرنسـي باعتباره المنشـأ الأول لهذا العلم الذي نبه عن وعي وفي وضـوح إلى اكتشـافه لهذا العلم ومهما كانت

---

1. نبيـل الســـمـالوطي، نحو توجيـه إســـلامي لمنـاهج علم الاجتمـاع، دار المعرفـة الجـامعيـة، الإسكندرية، 1996، ص 43.

2. نفس المرجع، ص 4.

ظروف النشأة الجديدة فان من النكران للجميل والظلم أيضا عدم الاعتراف لابن خلدون بفضله في هذا ل المجال *.[1]

ثانيا: أن العلوم الاجتماعية في كل المجتمعات المتقدمة اقتصـــاديا وتقنيا إنما توظف في خدمة المجتمعات وتحقيق أهدافها وقد يكون من بين أهدافها تعويق التنمية وتكريس التبعية في الدول النامية تحقيقا لمصالح الغرب الاقتصادية وإذا أصـــر الباحثين العرب والمســـلمين على الانطلاق من النظريات والبناءات النظرية التي طورها علماء الغرب دون نقد وتقديم ودون تطويع وتعديل بما يتفق مع واقعنا التاريخي والاجتماعي والثقافي قد يجدون أنفســـهم يحققون أهداف المجتمعات الغربية على حســـاب الاســـتقلال والتنمية المســـتقلة والحقيقية لمجتمعاتهم وعلى حساب الانتماءات الدينية والعقدية والقيمية الإسلامية ويحدث هذا بشـــكل مقصـــود وغير مقصـــود ولهذا فان وعي الباحث بطبيعة المنطلقات النظرية والمسلمات التي توجه بحوثه أمر في غاية الأهمية.

ثالثا: يؤكد علماء الاجتماع على أهمية الانطلاق في دراســـة المجتمع اســـتنادا إلى تصـور نظري محدد فالملاحظات وحدها دون تصـورات مسـبقة لا تشـكل المعرفة العلمية في علم الاجتماع، والأســـئلة التي يطرحها الباحث وتشـــكل مشـــكلة بحثه تعكس اهتمامات الباحث وخياراته وتقويمه المســـبق للواقع * فانه إذا لم يقم الباحث بتقويمات للواقع مصـــدرها فكره وعقيدته وقيمه وثقافته، فلن يكون هناك معنى للظواهر ولا اهتمامات محددة من قبل الباحث.

---

1. منصور زويدي المطيري، مرجع سابق، ص 24.

فالأطر النظرية التي ينطلق منها الباحث هي التي تحدد كل خطوات البحث العلمي أمام الباحث حيث أنها هي التي تحدد له نوعية الأسـئلة التي يطرحها، والظواهر التي يلاحظها ونوعية المنهج والأدوات التي يسـتخدمها وتحدد له أيضـا نوعية التفسير الذي يصل إليه.[1]

رابعا: أن مفهوم الموضـوعية في العلوم الاجتماعية يختلف كثيرا عن مفهومه في العلوم الطبيعية والبيولوجية، فعلى الرغم من دعوة أنصار الوضعية والسلوكية وبعض أنصـار الوظيفية في علم الاجتماع إلى الحيدة والموضـوعية في الدراسـات الاجتماعية فإنهم لم يطبقوها في عرضهم للنظريات والتفسيرات التي تبنوها وابرز الأمثلة على ذلك **دوركايم** و**فيبر**.

إضـافة إلى ذلك فإن **بارسـونز** بين أن مفهوم التحرر من القيم عند فيبر له عدة معاني وهي:

أ) لا يعني غياب الالتزامات والارتباطات القيمية عند العلماء ولكنه يشـير إلى ضـرورة التمييز بين قيم العلم بالمعنى الواسـع للمعرفة وبين القيم الملائمة للسياسة العملية الاجتماعية.

ب) ضرورة وعي العالم الاجتماعي بالقيم السياسية والاجتماعية والأخلاقية التي تشكل دوافعه ومصالحه واهتماماته، فاعتراف الباحث ووعيه بالقيم المؤثرة عليه في اختياره للمشـكلات ولظواهر ورؤيته للواقع هو ضـرورة للتحرر من

1. نبيل السمالوطي، مرجع سابق، ص ص 4 5.

القيم، بمعنى الوعي بوجود قيم أخرى ومرئيات وتصــورات وتفســيرات أخرى تختلف عن قيمه ورؤيته هو. [1]

ت) ومن هنا يظهر انه لا يمكن التخلي عن المعيارية في العلوم الاجتماعية، فعلوم الاجتماع التطبيقية تتطلب تصــورا للمجتمع المرغوب فيه بعلاقاته وقيمه ونظمه وصــورة للشــخصــية المطلوب بناؤها، والتي على مختلف التنظيمات المسئولة عن التنشئة الاجتماعية الوصول إليها، وتحديد ما يعد مشكلة وما لا يعد مشكلة، وما يعد في حدود الحريات الشخصية والعامة وفي حدود الحقوق والواجبات وما يعد سويا وما يعد منحرفا، هنا يطرح تساؤل حول مصدر هذه المعيارات (فلســفات ليبرالية أو اشــتراكية، هل مصــدرها الإجماع أو العقل الجمعي، أم فلســفات وضــعية أم هي وحي الهي؟) مما يفرض علينا البحث في مصــدر هذا الإطار التصــوري والمنهجي المعتمد لفهم المجتمع والثقافة والتاريخ والإنســان والكون، وما يرتبط بمصــادر المعرفة المعتمدة والتي هي المصــادر الحسية والعقلية عند السلوكيين والوضعيين والمصادر الظنية والتأملية عند بعض أنصــار التاريخ والتأويل، ولا مخرج من أزمة العلوم الاجتماعية إلا من خلال الاستناد إلى وحي السماء متمثلا في مصادر التشريع الإسلامي [2] ذلك لان القيم الإســلامية تثبت بالدليل العقلي أنها الحقيقة الوحيدة التي يجب على الجميع إتباعها ".

---

1. نبيل السمالوطي، مرجع سابق، ص ص 8 9.
2. نفس المرجع، ص ص 42 43.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩ ﴾ آل عمران: 19

ومن هنا فإن المسلمين بالذات يتحملون العبء الكامل في إيصال الحقيقة إلى كافة البشر".

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ ﴾ آل عمران: 104

وأنه من عدم الموضوعية أن توجه العلوم وجهة مضادة ومناوئة أو حتى محايدة لهذه الحقيقة.

إن المسلم إذا أراد صياغة علم الاجتماع صياغة إسلامية فان عليه أن يبدأ من المنطلقات الأساسية والمحور الأساس في الإسلام ونعني به العقيدة أو نظرة الإسلام للكون والحياة والإنسان لان عدم البدء من هذا المنطلق يعني وجود نوع من التلفيق. [1]

8.5. أهداف الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع

الهدف الأساس في الصياغة الإسلامية لهذا العلم هو أن يكيف علم الاجتماع نفسه في ظل مبدأ الإيمان بالله تعالى وهذا يعني عدة أمور تكون في مجملها التصور الإسلامي العام:

1. منصور زويدي المطيري، مرجع سابق، ص 103.

أ) إن الإنســان والكون الذي يعيش فيه ليس وحدهما في الوجود بل كلاهما يبتدئ من الله خلقا ووجودا وينتهيان إليه مصــيرا وهو المهيمن عليهما.

ب) الطبيعة لم تخلق نفســها ولم توجد بنفســها بل أو جدها الله وهي تســير على ســنن مطردة وفق نظام مترابط الأجزاء والله الذي خلقها هو المقدر لسننها ونظامها.

ت) العقل الإنســاني ليس وحده أداة الوصــول إلى الحقيقة بل هناك طريق آخر هو الوحي.

ث) الإنسـان ليس حيوانا مفكرا فحسـب، بل إن عناصر تكوينه تتجاوز ذلك فتزيد على العضوية والتفكير [1].

ج) الإيمان بان الله اصطفى بعض خلقه من البشر ليبلغ شرعه وهؤلاء هم الأنبياء ومنذ بداية الخلق بعث الله أنبياء كثيرين ليبلغوا الناس شــرع الله وقد ختم الأنبياء بمحمد صلى الله عليه وسـلم فهو خاتم الأنبياء ورسالته خاتمة الرسالات.

ح) الإيمان بان الإسـلام هو خاتم الرسـالات وهو رسـالة عالمية موجهة إلى كافة البشــر كما انه رســالة تامة ومكتملة وصــالحة لكل زمان ومكان. [2]

---

1. سلطان بلغيث، مرجع سابق، ص 35.

2. منصور زويدي المطيري، مرجع سابق، ص ص 104 105.

خ) الانطلاق من الوحي كمصدر حاكم للمعرفة والحقائق اليقينية وهو يوظف كل المصادر الأخرى والحس والعقل والقلب.

د) توجيه الدراسات والبحوث الواقعية لخدمة الإسلام والمسلمين وبناء الإنسان المسلم الذي يعرف دينه معرفة صحيحة، والذي يؤدي رسالته الحضارية في عبادة الله بمفهومها الواسع.

ذ) الانطلاق من الثوابت الإسلامية كأسس لتفسير نتائج الدراسات الواقعية وكأسس لمواجهة المشكلات والأزمات الاجتماعية وكأسس لبناء القوة بمفهومها الشامل، انطلاقا من الاستفادة من نتائج الدراسات الواقعية والاستفادة من ما هو مطروح في الأدبيات العلمية من نظريات وأفكار وتقنيات مادية أو تقنيات اجتماعية بعد تنقيتها من كل ما يتصادم مع ثوابت الإسلام ومن هنا ينطلق العقل المسلم ليبدع ويضيف في مجالات التنظير والمناهج والتطبيقات.

ر) تقويم الواقع الاجتماعي لبيان درجة اقترابه وابتعاده عن التطبيقات الشرعية.

ز) الالتزام بالأخلاق والضوابط الإسلامية في عمليات بحث العلمي وتوظيف نتائج البحوث.

ويظهر لك أخي القارئ من خلال تتبعك لأهداف الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع أنها تسعى إلى إرجاع البحوث العلمية في ميدان الاجتماع الإنساني إلى المسار العلمي السوي الذي لا يغفل جوانب التركيبة الإنسانية وبحث في التكامل الوظيفي بين الروح والجسد وبين الغايات الدنيوية والغايات الأخروية

مركزا في ذلك على اتخاذ موقف علمي مبني على حقائق الدين يفصل في مسائل الخلاف الكبرى كالسرديات المتعلقة بالخلق والحساب والمعاد واصل التاريخ الإنساني وقد استطاع الإسلام وجهود العلماء المسلمين البت في هذه القضايا بجواب الهي مقنع يرد كل الأباطيل والدعاوى السابقة وتحضير إجابات حاسمة لكل الشبه التي يمكن أن يوردها خصوم الإسلام بعد ظهوره.

9.5. كيفية تحديد المنطلقات الإسلامية النظرية والمنهجية في علم الاجتماع

يتم تحديد المنطلقات الإسلامية التي يلتزم بها الباحث المسلم في علم الاجتماع من خلال الأمور التالية:

أ) استخلاص الأسس العامة للإسلام، وهذا مما أفاض فيه المشتغلون بعلوم العقيدة والشريعة والحديث والتفسير والثقافة الإسلامية (التوحيد وأنواعه، نظرة الإسلام إلى الكون والمجتمع والتاريخ والحياة والعلم والمعرفة)

ب) استخلاص موقف الإسلام من القضايا التي يدرسها علم الاجتماع (الإنسان والمجتمع والعلاقات والنظم الاجتماعية والجماعات، والعمليات الاجتماعية كالتعاون والتنافس والصراع والتوافق ووظيفة كل منها في الحياة الاجتماعية وأسس التنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والإدارية والعسكرية، وعوامل التفكك، والقوة والضعف، وعوامل استمرار القوة وعوامل تدهورها، واستخلاص منهج الإسلام في فهم وتفسير ومواجهة المشكلات الاجتماعية (التربوية والصحية والأسرية والاقتصادية والسياسية) واستخلاص التفسير الإسلامي للانحراف

والإجرام، وأساليبه في مواجهتهما ومكافحتهما، واستخلاص موقف الإسلام في هذه القضايا التي هي موضوع الدراسة في علم الاجتماع، إنما يتم بالرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وكل الدراسات التي قامت عليها.

ت) تحليل دراسات العلماء المسلمين، سواء المباشرين بالنسبة لعلم الاجتماع والعلوم الاجتماعية كابن خلدون، أو علماء الإسلام عامة لاستخلاص أفكارهم واجتهاداتهم بشأن الموضوعات التي يدرسها علم الاجتماع.

ث) فحص أدبيات علم الاجتماع بمدارسه ودراساته المتصارعة والمتنوعة، للتعرف على ما يمكن أن تقدمه من نفع في فهم ودراسة الواقع الاجتماعي بما لا يتعارض مع الأصول الشرعية.

ج) تشكيل إطار تصوري إسلامي للواقع الاجتماعي في ثباته وتغيره، في صحته ومرضه، في ديناميته وعملياته الداخلية. وهذا الإطار يكون منطلقا للدراسات الواقعية، اعتبارا من مشكلة البحث حتى التفسير والاقتراحات، مرورا بوضع أو صياغة التساؤلات واختيار الأساليب المنهجية والأدوات المناسبة.

ولا شك أن نتائج هذه الدراسات الواقعية سوف تنعكس على الإطار التصوري (الجانب الاجتهادي في هذا الإطار وليس الجانب الشرعي الذي يتصل بالثوابت) حيث يمكن إن تعدل، أو تثري أو تضيف أو تعمق هذا الجانب الاجتهادي في الإطار التصوري للواقع.

ح) يتضح مما سبق أن الإطار التصوري للواقع الاجتماعي في المنظور الإسلامي من جانبين:

أ) **الجانب الشرعي**: متمثلا في الأسس والمعايير والضوابط والأخلاق العقدية والشرعية، وهذا هو الجانب الثابت المتفق عليه بين المسلمين

ب) **الجانب الاجتهادي**: المستمد من أدبيات علم الاجتماع ومن رؤية الباحث نفسه وقناعاته، ومن الدراسات الواقعية التي يجريها الباحث، أو التي أجراها غيره. وهذا الجانب ليس من اللازم أن يتضمن جوانب مذكورة أو متوافقة مع ما جاء به القرآن والسنة، وإنما يكفي ألا يكون متعارضا مع أصل شرعي فحسب، ويكون مناسبا للمجتمع المسلم ولثقافة المسلم، ويسهم في تحقيق أهداف الإنسان والمجتمع كما يراها الإسلام.

خ) هذا الجانب الاجتهادي من المنطلقات النظرية والدراسات الواقعية لعلم الاجتماع من المنظور الإسلامي، يستغرق ما يعرف في أصول الفقه بالمصالح المرسلة وهي تلك الأحكام التي يقصد بها تحقيق مصالح الناس وتتغير بتغير الزمان والمكان والثقافات والظروف الاجتماعية، وهي المصالح التي تقتضيها البيئات والمجتمعات بعد انقضاء الوحي ولم يشرع الشارع أحكاما لتحقيقها، ولم يقم دليل م الكتاب والسنة على اعتبارها أو إلغائها. [1]

1. نبيل السمالوطي، مرجع سابق، ص ص 73 74.

يظهر للمتتبع للمنطلقات التي يعتمد عليها المنظر السوسيولوجي المسلم، بان هذه المنطلقات تحاول أن ترســم خطا علميا واضـح المعالم، يعتمد على الأصــول الدينية العلمية المرتبطة بالاســتفادة من كل ما جاءت به الشـريعة الإسلامية من نصوص دينية ترسم خطوط الحياة الاجتماعية وطريقة دراســتها، كما أن هذا المنظر يجب أن يســتلهم طريقة بحثه العلمية من اجتهادات العلماء المسلمين الذين سبقوه، سواء المباشـرين لعلم الاجتماع أو غيرهم من إخوته من العلماء في ميادين الفقه والأصول والســياســة والاقتصــاد وغيرها من العلوم، علاوة على هذا فان العالم المســلم يســتفيد من الجهود العلمية لغير المســلمين ولا يغفلها ذلك أن العلم تراكمي وان الحضــارة ليســت حكرا على امة معينة أو ثقافة مخصــصــة بل هي تداولية تتداولها الأمم فيما بينها وتتناقلها جيلا بعد جيل.

الخاتمة

عزيزي القارئ الكريم، طلبتنا الأعزاء، نرجو أن نكون قد قدمنا إليكم موجزا علميا نافعا يأخذ بأيديكم الى بر الأمان، فيما يخص مناهج البحث العلمي وطرائقه وأدواته وكيفية التعامل العملي والابستمولوجي مع المفاهيم البحثية في العلوم الاجتماعية، كما نأمل اننا قد أعطيناكم لمحة نافعة عن اهم المدارس المنهجية الكبرى التي أثرت بتراثها العلمي وجهودها المعرفية الساحة العلمية في العلوم الاجتماعية، ورسمت الخطوط العريضة لدراسة الظواهر الاجتماعية دراسة مبينة على القواعد العلمية الصحيحة.

هذا العمل المتواضع الذي نضعه بين يديك أخي القارئ، عزيزي الطالب سيكون بإذن الله بمثابة الدليل المنهجي والنظري، الذي سيوجه حياتك العلمية والأكاديمية من حيث أنه بين لك أهم القواعد المنهجية التي تتبع في عملية البحث العلمي وإعداد الرسائل الجامعية، كما أنه بين لك اهم المدارس المنهجية والنظرية التي تحدد اطر مقاربتك في دراسة الواقع الاجتماعي.

وفي الأخير نرجو أننا قد أجبنا في كتابنا هذا على كثير من التساؤلات التي تنتاب القارئ المبتدئ والطالب الملتحق حديثا بميدان العلوم الاجتماعية، واستطعنا ان نشفي غليل الباحث النهم للمعرفة، ونطمئن في ذاته الباحثة قلقا معرفيا، ونشجع في ذاته الاستكشافية نهما متجددا للبحث عن المعرفة والحقيقة.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

قائمة المراجع

الكتب:

1. إبراهيم أبراش، المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية، ط1، دار الشروق، عمان، 2009.
2. أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه، ط9، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 1996.
3. أحمد مصطفى محمد خاطر، استخدام المنهج العلمي في بحوث الخدمة الاجتماعية، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، 2004.
4. إدريس نغش الجابري، البارادیغم العلمي الإسلامي..قيمه الثقافية وخصائصه الابستيمية، تندرج هذه الدراسة ضمن أعمال الندوة العلمية التي نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء في موضوع: "العلوم الإسلامية: أزمة منهج أم أزمة تنزيل؟ " التي أقيمت يومي14–13 ربيع الثاني1431هـ الموافق 31–30 مارس2010 م، أكادير-المملكة المغربية
5. بلقاسم سلاطنية وحسان الجيلاني، منهجية العلوم الاجتماعية، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر 2004.
6. حفيظي سليمة، محاضرات في المنهجية وتقنيات البحث، قسم العلوم الإنسانية جامعة بسكرة، 2015/2014.
7. حلمي المليجي، مناهج البحث في علم النفس، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 2001.
8. خميس طعم الله، مناهج البحث وأدواته في العلوم الاجتماعية، مركز النشر الجامعي، تونس 2004.
9. خير الدين علي أحمد عويس، دليل البحث العلمي، ط1، دار الفكر العربي، مصر، 1997.
10. ديوبولد بقان دالين، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ترجمة: محمد نبيل نوفل وآخرون، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1997.
11. ربحي مصطفى عليان وعثمان محمد غنيم، مناهج وأساليب البحث العلمي، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2000.

12. رجاء محمود أبو علاء، مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية، ط4، دار النشر للجامعات، القاهرة، 2004.
13. رجاء وحيد دويدري، البحث العلمي أساسياته النظرية وممارساته العلمية، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2000.
14. زياد بن علي محمود الجرجاوي، القواعد المنهجية التربوية لبناء الاستبيان، ط2، مطبعة أبناء الجراح، غزة، 2010.
15. سامي محمد ملحم، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ط6، دار المسيرة، عمان، 2010.
16. عامر إبراهيم قنديلجي، البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات، دار البازوري العلمية، عمان، 1999.
17. عبد الرحمان بدوي، مناهج البحث العلمي، ط 3، وكالة المطبوعات، الكويت، 1977.
18. عبد الله الخريجي، علم الاجتماع الديني، ط 2، رامتان، جدة، السعودية، 1990.
19. عبد الله محمد الشريف، مناهج البحث العلمي، مكتبة الإشعاع للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1996.
20. عبود عبد الله العسكري: منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، ط2، دار النمير، دمشق، 2004.
21. عقيل حسين عقيل، فلسفة مناهج البحث العلمي، مكتبة مديولي، 1999.
22. عمار بوحوش ومحمد محمود الذنيبات، مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، ط4، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
23. فاطمة عوض صابر وميرقت على خفاجة، أسس ومبادئ البحث العلمي، ط1، مكتبة وطبعة الإشعاع الفنية، مصر، 2002.
24. ماجد محمد الخياط، أساسيات البحوث الكمية والنوعية في العلوم الاجتماعية، ط1، دار الراية، عمان، 2009.
25. محسن علي عطية، البحث العلمي في التربية، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، 2009.

26. محمد عبيدات وآخرون، منهجية البحث العلمي، ط2، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، 1999.

27. محي الدين مختار، الاتجاهات النظرية والتطبيقية في منهجية العلوم الاجتماعية، ج 1. منشورات جامعة باتنة، الجزائر، (د، س).

28. مروان عبد المجيد إبراهيم، أسس البحث العلمي لإعداد الرسائل الجامعية، ط1، مؤسسة الوراق، الأردن، 2000.

29. منذر الضامن، أساسيات البحث العلمي، ط1، دار الميسرة، عمان، 2007.

30. موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، ترجمة بوزيد صحراوي وزميله، ط2، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2004.

31. أبو المجد احمد، علم الاجتماع الإسلامي (بين الحاجة والإمكان)، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، ط1، 1982.

32. أيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة محمد حسين غلوم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1999

33. جاك هارمان، خطابات علم الاجتماع في النظرية الاجتماعية، ترجمة العياشي عنصر، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، 2010.

34. جورج بولتزر وآخرون، أصول الفلسفة الماركسية، ترجمة شعبان بركات، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، ب ت.

35. جون سكوت، المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع، ترجمة محمد عثمان، الشركة العربية للأبحاث والنشر، بيروت لبنان، 2009.

36. دبلة عبد العالي، مدخل إلى التحليل السوسيولوجي، دار الخلدونية، الجزائر، 2011.

37. شبل بدران، حسن البيلاوي، علم اجتماع التربية الجديد، دار المعرفة الجامعية، ط3، 2009.

38. شحاتة صيام، النظرية الاجتماعية من المرحلة الكلاسيكية إلى ما بعد الحداثة، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009.

39. طلعت إبراهيم لطفي، كمال عبد الحميد الزيات، النظرية المعاصـــرة في علم الاجتماع، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة.
40. عبـد الله محمـد عبـد الرحمـان، علم اجتمـاع التربيـة الحـديـث، دار المعرفـة الجـامعيـة، الإسكندرية.
41. عبد الباسط عبد المعطي، نظريات علم الاجتماع، عالم المعرفة، الكويت، 1981.
42. فردريك معتوق، منهجية العلوم الاجتماعية عند العرب وفي الغرب، المؤســـســـة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ط 1، 1985،
43. فليب جونز، النظرية الاجتماعية والممارســات البحثية، **ترجمة محمد ياســـر الخواجة، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة.**
44. منصــور زويدي المطيـــري، الصــيـاغة الإســلامية لعلم الاجتماع الدواعي والإمكان، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، قطر، ط 1، ربيع الأول 1413.
45. بيل محمد توفيق الســـمالوطي، الايديولوجيا وقضـــايا علم الاجتماع النظرية والمنهجية والتطبيقية، دار المطبوعات الجديدة، الاسكندرية، 1989.
46. نبيـل الســـمـالـوطي، نحو توجيـه إســـلامي لمنـاهج علم الاجتمـاع، دار المعرفـة الجـامعيـة، الإسكندرية، 1996.
47. برنامج المكتبة الشاملة.

المجلات

48. سـلطان بلغيث، المعرفة بين انقسـام الرؤى الغربية وتكامل الرؤية الإسـلامية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، العدد 22، جوان2011.
49. نور الدين زمام، اشـكالية المدخل المنهجي الإسـلامي في حقل السـوسـيولوجيا، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد 12، نوفمبر 2007.

المحاضرات

50. الطاهر إبراهيمي، محاضرات التحليل السوسيولوجي للمؤسسات التربوية للسنة الثالثة علم اجتماع تربية، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2005ـ 2006، غير منشورة.

الرسائل الجامعية

51. 21) ئاكو قادر حمه، الأخلاق والمنهج العلمي بين الاتجاه الوضعي والاتجاه النقدي في علم الاجتماع، رسالة ماجستير، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة حلوان، 2014، ص 164 163

مواقع الانترنيت

52. تاج السر عثمان، ما هو منهج ماركس في بناء نظريته عن المجتمع، مركز الأبحاث والدراسات العلمانية في العالم العربي، تاريخ النشر، 26. ، 2017، تاريخ الزيارة4 / 11/ http: //www. ssrcaw. org/ar/art/show. art. asp?aid=5460372018

53. سلامة كيلة، في الماركسية، مجلة رمان الثقافية، https: //rommanmag. com/view/aboutتاريخ الزيارة 4/ 11 ./ 2018

54. باقادر، حاجة طالب العلم الشرعي مركز نوار للبحوث والدراسات من خلال هذا الموقع http: //Bnouar. jeeran. com .

إن النقص الواضح في المراجع التي يحتاجها الطالب وحتى الأستاذ في هذا المجال المعرفي المهم في العلوم الاجتماعية والإنسانية، وتحديدا في مقياس المدارس والمناهج كان دافعا مهما لنا لتقديم هذه المساهمة العلمية " محاضرات في المدارس والمناهج" من أجل محاولة تغطية هذا النقص من جهة ، وتكوين الطالب المبتدئ في هذا التخصص من خلال مجموعة من المحاضرات وفق المقرر الوزاري المعتمد من قبل الوصاية لتكوين الطالب في الجذع المشترك في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية من جهة أخرى.

تصميم

